بحث عام | قسم الدراسات الدينية | 30 أكتوبر 2018

بعد تسعين عاماً من النشأة:
تحوّلات العنف عند الإخوان المسلمين

منير أديب
باحث مصري

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018
All rights reserved © 2018

الملّخص:

مرّت جماعة الإخوان المسلمين بعدّة تحوّلات على مستوى الفكرة التي طرحها المؤسّس الأوّل حسن البنا وعلى مستوى التنظيم أيضاً الذي أسّسه في نهاية العشرينيّات من القرن الماضي فيما يتعلّق بتأسيس العنف وتصديره لكلّ جماعات الإسلام السياسي.

وتعبّر تحوّلات جماعة الإخوان عن رؤاها التي رصدها المراقبون على مدار عقود النشأة ورسّخها «البنا» في أكثر من سياق فكري وتنظيمي وتنظيري معاً، غير أنّ سياقات الزمن كشفت بشكل جليّ بعد مضي أكثر من تسعين عاماً على النشأة تطوّر هذه التحوّلات من مربّع التطرّف إلى مربّع التطرّف العنيف، ومن مجرّد ممارسة العنف إلى تصديره لغيرها من الجماعات والتنظيمات الدينيّة، حتى أصبحت الجماعة بوقاً للعنف مثلّته عدّة أذرع عسكريّة مسلّحة خلال تسعة عقود.

وكان «التنظيم» أذكى من أن يقدّم نفسه على أنّه مجرّد جماعة «جهاديّة»، خشية أن يتمّ اختراق الفكرة وتفكيكها كما وقع الأمر مع كلّ الجماعات المسلحة، فاتجه لخطابين؛ أحدهما «دعوي» خاطب فيه العامّة ونفى عن نفسه أيّ علاقة بالعنف من قريب أو بعيد، وخطاب «جهادي» عبّر من خلاله عن القناعات والأفكار الخاملة التي تدعو للقتال تحت شعارات «الجهاد». وتوجّه بهذا الخطاب للنخبة التي انضمّت إليه وأسّست العمل المسلّح سواء من خلال «النظام الخاص» قديماً أو من خلال «اللجان النوعيّة» حديثاً، والأمر لم يقتصر على مصر، فإخوان الخارج حملوا السلاح في عدّة عواصم عربيّة، بما يُؤكّد ما أشرنا إليه من أفكار كانت بمثابة عقيدة راسخة في سياق استخدام العنف.

ولم تجد جماعة الإخوان صعوبة في تشكيل الخلايا المسلّحة بمصر والتي أنشئت على خلفيّة ثورة 30 يونيه 2013، واكتفت فقط باستدعاء الأفكار التي شكّلت وجدان كلّ الإخوان بلا استثناء، فقرارها بتشكيل هذه الخلايا لم يكن مفاجئاً ولم يحمل أيّ جديد، غير أنّه ترجم الأفكار القديمة وبحث لها عن مساحة أكبر للعمل، وهو سرّ دهاء التنظيم الذي نجح في إخفاء أفكار كثيرة واستدعى أخرى لم يكن يلمسها قطاع كبير من الناس.

ولم يكن الأمر الأخطر في ممارسة الجماعة للعنف، وإنّما في توفير حواضن العنف من خلال الأفكار المؤسّسة للتطرّف التي صاغتها في بواطن الكتب ووضعتها على أبواب الشوارع والأزقة للمارّة من كلّ الجماعات والتنظيمات التي نشأت بعدها، وبخاصّة من يبحثون عن انتماءات أيديولوجيّة[1]، فضلاً عن

1- انضمّت مجموعات كبيرة من الشباب في فترة التسعينيّات من القرن الماضي لجماعة الإخوان المسلمين في سياق بحثهم عن انتماء أيديولوجي، حيث غلب على قطاع كبير من الشباب في هذه الفترة الزمنيّة الانتماءات الأيديولوجيّة في ظلّ مرحلة الانفتاح التي قادها الرئيس الأسبق محمّد أنور السادات، والتي تلت مرحلة «الناصريّة» وحلّ الأحزاب ومنع تشكيل الجماعات والتنظيمات الدينيّة.

توفيرها الملاذ للأفكار والأشخاص الذين يمارسون العنف، فأصبحت مشجعاً على العنف ومهيّئاً لبيئته، وأطلقت خطابين أحدهما عام والأخر خاص لا يطلع عليه إلّا من انتسب إليها وآمن بفكرتها حتى لا يخرج عليها متمرّداً أو رافضاً لها، فاختبأت وراء خطابها الدعوي بينما كانت تمارس العنف وتغذّيه.

مقدّمة

مرّت جماعة الإخوان المسلمين بتحوّلات جوهريّة انعكست على تشكيلات التنظيم الممتدّ عبر أكثر من سبعين عاصمة عربيّة وأوروبيّة[2]، أرجعها البعض للأفكار التي طرحها المؤسّس الأوّل، حسن البنا[3] قبل تسعين عاماً، واعتبرها البعض الأخر ترجمة فعليّة لنشأة النظام الخاص في نهاية الثلاثينيّات من القرن الماضي[4] ومروراً بتنظيم 1965 والذي وقف سيد قطب على رأسه، وانتهاءً بنشأة حركتي سواعد مصر «حسم» ولواء الثورة وغيرها من الميليشيّات المسلّحة التي خرجت من عنق تنظيم الإخوان وعبّرت عنه بجلاء شديد.

وقد فرّخت الجماعة خلال هذه التحوّلات جماعات وتنظيمات وميليشيّات مسلحة، منها: تنظيم «الناجون من النار» و«التكفير والهجرة» و«الجماعة الإسلاميّة» و«الجهاد الإسلامي» وغيرها، فأغلب هذه التنظيمات خرجت من عباءة «الإخوان المسلمين» والتي تعتبر المحطّة الرئيسيّة التي مرّ من خلالها أغلب قيادات تنظيمات العنف والتطرّف، فالجماعة هي الأقدم في النشأة من كلّ هذه التنظيمات التي أخذت منها فيما بعد، فضلاً عن تصديرها للأفكار المؤسّسة للعنف والملهمة لحركته.

كان التحوّل الأخطر الذي ظهر على تنظيم الإخوان المسلمين في العصر الحديث عندما اتجه لتدشين أجنحة عسكريّة مماثلة بمصر بعد ثورة 30 يونيو عام 2013 على خلفيّة عزل الرئيس الأسبق محمّد مرسي[5]

2- د. رفيق حبيب، هل يوجد تنظيم دولي للإخوان، إخوان ويكي، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدوليّة الإنترنت عبر الرابط:

nl.hideproxy.me/go.php?u=2MHgw8A58dgOb%2Bu4NsGeGwI4Gq%2Bdhmd%2F%2BDtey%2BZqthq2RLjNHwAy2YMK9WOAMgbCPp9PIfuRR%2FqRtkY0mFg7995qaqlupugSrx5rCdTFykallRvLFpDbvZp0AUmk3X1Dw6REyRGFKeUMmni15erEbCPGvB%2B7VrLYEE71Bhn3zegYF9mCqrrRgqy66CYI9bPa80XkmPxkuQQhvoObOl27HctgLRDBJXIzWGnxXqMMSr49&b=5&f=norefer.

3- حسن البنا: مؤسّس جماعة الإخوان المسلمين، ولد بمحافظة البحيرة بدلتا النيل عام 1906م، يُنتسب إلى أسرة ريفيّة متوسّطة الحال، كانت تعمل بالزراعة في إحدى قرى الدلتا، درس والده العلوم الشرعيّة في جامع إبراهيم باشا بالإسكندريّة، والتحق أثناء دراسته بمحلٍ لإصلاح الساعات، وأصبحت بعد ذلك حرفة له وتجارة، ومن هنا جاءت شهرته بالساعاتي.

4- هناك ترجيحات حول تاريخ نشأة التنظيم الخاص، أغلبها يذهب إلى عام 1939، حسب رواية د. إبراهيم البيومي غانم، في مقالته قصّة النظام الخاص ودراما تقبيح الحسن، موقع جريدة الشروق المصريّة، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدوليّة على الإنترنت عبر الرابط:

www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=10102010&id=6ab557ee-f9ac-4cec-9ee5-bb98d6922706

5- محمّد مرسي العياط، هو الرئيس الخامس لجمهوريّة مصر العربيّة، والأوّل بعد ثورة 25 يناير 2011، وهو أوّل رئيس مدني منتخب للبلاد، تمّ إعلان فوزه في 24 يونيو 2012 بنسبة 51.73 % من أصوات الناخبين المشاركين، وتولّى منصب رئيس الجمهوريّة رسميّاً في 30 يونيو 2012 بعد أداء اليمين الجمهوري حتّى تمّ عزله في 2013 بعد مظاهرات 30 يونيو من العام نفسه، وتمّ توجيه عدّة تهم إليه من ضمنها التخابر مع جهات أجنبيّة وإفشاء أسرار الأمن القومي أثناء فترة رئاسته.

من السلطة، فكان نتاج هذا الحراك ظهور ميليشيّات مسلّحة منها «حسم» و«لواء الثورة» و«المقاومة الشعبيّة»، فضلاً عن بعض الجماعات القريبة في أفكارها من الإخوان مثل جماعة «أجناد مصر» و«أنصار بيت المقدس» و«أكناف بيت المقدس».

وقد وفّر الإخوان مناخاً للعنف عندما أتاحوا ظروفاً ملائمة لنشأة بعض التنظيمات المتطرّفة على هامش التنظيم الأم، هذه التنظيمات لم تنشأ بقرار من تنظيم الإخوان، ولكن ارتبطت نشأتها بالجماعة الأقدم التي وفرت ظروفاً هيّأتها لذلك، فكان نتاجه حالة من العنف وفرها التنظيم وأفرزت جماعات عنيفة، وهو ما عدّه بعض المراقبين بداية الانهيار الفعلي للجماعة الأمّ.

وتأتي الميليشيّات التي أفرزتها جماعة الإخوان المسلمين في سياق استدعاء الماضي، وتتوافق مع النسق المعرفي والفكري للأفكار التي طرحها حسن البنا، فكلّ الثوابت المعرفيّة تؤكّد علاقة الإخوان بالعنف من ناحية التأصيل، لذا كانت الجماعة بمثابة الباب الذي خرجت منه كلّ جماعات العنف المصدّر لفكرة العنف في العصر الحديث.

ويؤكّد الكثير من التجارب أنّ جماعات كثيرة بدأت «دعويّة» مثل الإخوان، وقد اتّجهت جماعة الإخوان إلى العنف عندما شعرت أنّها وصلت إلى مرحلة «القوّة العدديّة» بعد 10 سنوات من النشأة في عام 1928، فسعت لتحقيق أفكارها بالقوّة المسلّحة، اعتقاداً منها أنّها على الحقّ وأنّها وصلت لمرحلة التمكين بقوّتها العدديّة، وعند البحث في بنية هذه التنظيمات الفكريّة نكتشف العنف في الأفكار التي بُني عليها «التنظيم»، وإن لم يستخدم العنف في بداياته، فقط انتظر الفرصة المواتية لممارسته.

وما يؤكّد حضور فكرة العنف في أفكار حسن البنا ما قاله في رسالة المؤتمر الخامس: «يعلمون أنّ أوّل درجة من درجات القوّة قوّة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوّة الوحدة والارتباط، ثمّ بعدها قوّة الساعد والسلاح، ولا يصحّ أن توصف جماعة بالقوّة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً، وأنّها إذا استخدمت قوّة الساعد والسلاح، وهي مفكّكة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك»[6]، وهنا ربط البنا استخدام القوّة بضرورة أن تكون الجماعة قويّة حتى يكون لاستخدامها نتيجة وتحقق الأثر المطلوب منها، وقد عدّ الباحثون رسالة المؤتمر الخامس إذناً باستخدام قوة الساعد والسلاح، وتمّ تشكيل النظام الخاص على خلفيته.

6- د. محمّد عبد الرحمن، الإمام البنا واستخدام القوة (4)، إخوان ويكي، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدوليّة الإنترنت على الرابط:

nl.hideproxy.me/go.php?u=xc1wrYpPi9hvjdaKQOBbDRqhmxRF4B9jP8yR62umxOu%2FQBkbygB6oOo0hCmaZiRilG%2BzBVVJ1XabQbpnwv15zGt7peWndgifm%2Bn9nclHbSb8BbCOfl4ZmPupGiLO4aqw8YdYLRklqaSokTK1MYtVAyWOVE%2ByBAwsTALKyvXld7Z85oy72nwSjsfMcuwkKSQPUFpq%2BKwvLYU4kPDWP1ONKtD2ZQM2S2D6rmgRIcsxI5n861beXQN1svg3JdeL&b=5&f=norefer.

العنف عبارة عن سلوك يسكن الضمير الإنساني، قد تكون مبرّراته اجتماعيّة أو جنائيّة أو دينيّة، وهناك من يمارس النوع الأخير من العنف بشكل فردي أو من خلال جماعات وكيانات وتنظيمات، وغالباً ما تنشأ هذه التنظيمات على هامش المجتمع، وترى أنّ دورها الحقيقي في تصحيح مساره أو تغييره وتعديله أو الانقلاب عليه، كما في حالة جماعة الإخوان المسلمين التي مثلت تصوّراً شاملاً ومتعدّداً لأبواق العنف.

ومن خصائص التنظيمات الدينيّة أنّها تستشهد بكثير من النصوص الدينيّة حتى تؤكّد أنّ سلوكها العنيف إنّما هو جهاد في سبيل الله، وبالتالي تترجم أفكارها لسلوك فيما بعد، ثمّ تقوم بترسيخ هذه الأفكار وشرعنتها حتى يكون لها بيئة ترعاها، وهذا هو الدور الذي قامت به جماعة الإخوان المسلمين على مدار عقود النشأة.

وتبرّر جماعة الإخوان المسلمين الجهاد بأنّه فرض عين على كلّ مسلم ومسلمة، وأنّ سقوط الخلافة الإسلاميّة لا يعني ضياع هذه الفريضة على المسلمين، وهنا اعتبرت نفسها قائمة على عودة هذه الخلافة التي سقطت في عام 1924، وبهذا كان تبريرها لإنشاء الجناح العسكري بشكله القديم والحديث.

تبحث هذه الورقة البحثيّة في تحوّلات جماعة الإخوان المسلمين نحو العنف من خلال استعراض محطّات العنف التي مارسها التنظيم أو على مستوى تأصيل الفكرة التي نجح في تصديرها لكلّ جماعات العنف التي نشأت في السبعينيّات من القرن الماضي، وهاجمتنا بأفكارها وسلوكها العنيف في الوقت ذاته.

يستعرض الباحث في الدراسة عدّة محاور ينطلق منها ليلمس الفكرة الأساسيّة عن تحوّلات الجماعة نحو العنف مجيباً عن سؤال مهم، يتعلّق بدور الجماعة في تأصيل العنف على مدار أكثر من تسعة عقود تمثل تاريخ التنظيم؟، موضحاً الهدف من وراء نشأة النظام الخاص، ذراع الجماعة العسكري، وكذلك الميليشيّات المسلّحة التي نشأت حديثاً، والأفكار التي انطلقت منها الجماعة لتأصيل العنف فتركت بصمة على مجمل التيار الإسلامي.

الإخوان والعنف

بدأت صلة جماعة الإخوان المسلمين بالعنف منذ اللحظة الأولى التي رسم فيها حسن البنا خطوط دعوته بمدينة الإسماعيليّة[7] مع عدد من الشركاء في عام 1928م، كجمعيّة دينيّة تهدف إلى التمسّك بالدين وأخلاقيّاته وفي عام 1932م، انتقل نشاط الجماعة إلى مدينة القاهرة ولم يبدأ نشاط الجماعة السياسي إلّا في

7- إحدى مدن القناة، وهي عاصمة محافظة الإسماعيليّة، تُعتبر جزءاً من ممرّ قناة السويس، وكان أوّل عمل لـ «حسن البنا» بمدرسة ابتدائيّة في هذه المحافظة التي أعلن انطلاق دعوته منها.

عام 1938م، وتشكّل النظام الخاص بعد عقد المؤتمر الخامس للجماعة عام 1939 [8]. وقد تطوّرت ملامح العنف بعد ذلك التاريخ حتى غدت ظاهرة وكانت إيذاناً بتشكيل الخلايا المسلّحة من داخل التنظيم بعد قرابة عشر سنوات من نشأته.

وقد دعا حسن البنا إلى ممارسة العنف في رسائله حيث قال: «وسنتوجّه بدعوتنا إلى المسؤولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه وحكّامه وشيوخه ونوّابه وأحزابه وسندعوهم إلى مناهجنا ونضع بين أيديهم برنامجنا وسنطالبهم بأن يسيروا بهذا البلد المسلم، بل زعيم الأقطار الإسلاميّة في طريق الإسلام في جرأة لا تردّد معها وفي وضوح لا لبس فيه ومن غير مواربة أو مداورة، فإنّ الوقت لا يتسع للمداورات، فإن أجابوا الدعوة وسلكوا السبيل إلى الغاية آزرناهم، وإن لجؤوا إلى المواربة والروغان وتستّروا بالأعذار الواهية والحجج المردودة، فنحن حرب على كلّ زعيم أو رئيس حزب أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام ولا تسير في الطريق لاستعادة حكم الإسلام ومجد الإسلام، سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة معها حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحقّ وهو خير الفاتحين»[9].

وممّا يُدلل على علاقة الإخوان بباقي الجماعات والتنظيمات المتطرّفة صلة أيمن الظواهري، زعيم تنظيم القاعدة، بجماعة الإخوان المسلمين قبل سفره إلى أفغانستان وانضمامه لتنظيم القاعدة، وهو ما يؤكّد دور الوساطة الذي لعبته الجماعة في هذا السياق؛ فالإخوان هم من عرضوا على زعيم تنظيم القاعدة الحالي السفر إلى باكستان من خلال إحدى جمعيّاتهم بهدف مساعدة الجرحى الأفغان، أثناء الحرب السوفيتيّة على أفغانستان، فوافق عرض الإخوان تطلّعات «الظواهري» وقتها، وكانت بمثابة السلّم الذي تسلّق عليه حتى أصبح زعيماً لأحد أكبر التنظيمات المسلّحة لفترة طويلة، ولو لم تعرض الجماعة على «الظواهري» السفر، لما انضمّ لتنظيم قاعدة الجهاد حتى أصبح زعيماً لها، وأصبح «التنظيم» ملهماً فيما بعد لغيره من التنظيمات الأكثر تطرّفاً مثل تنظيم ما يُسمّى بالدولة الإسلامية «داعش».

وهذا ما يفسّر أنّ جماعة الإخوان المسلمين هي من وفّرت بيئة العنف التي خرجت منها كلّ جماعات العنف والتطرّف فيما بعد، بحكم قدمها في النشأة، والمناخ الذي وفّرته لباقي التنظيمات التي مارست هذا العنف في أشكاله المختلفة.

يقول الظواهري،: «بدأت صلتي بأفغانستان في صيف 1980م بترتيب قدري حينما كنت أعمل بصفة مؤقتة مكان أحد زملائي في مستوصف السيدة زينب التابع للجمعيّة الطبيّة الإسلاميّة، وهي أحد أنشطة

8- صرّح حسن البنا في رسالة المؤتمر الخامس باستخدام القوّة قائلًا: إنّ الإخوان المسلمين سيستخدمون القوّة العمليّة «قوّة الساعد والسلاح»، حيث لا يجدي غيرها وحيث يثقون أنّهم قد استكملوا عدّة الإيمان والوحدة وهم حين يستخدمون هذه القوّة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون اوّلاً.

9- حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، ط2، 2011) ص 114

الإخوان المسلمين، ففي إحدى الليالي كلّمني مدير المستوصف، وهو من الإخوان المسلمين، عن رأيي في السفر إلى باكستان للعمل في المساعدة الجراحيّة للمهاجرين الأفغان، فوافقت على الفور، إذ وجدت في هذا العرض فرصة ذهبيّة للتعرّف على ميدان من ميادين الجهاد التي يمكن أن تكون رافداً وقاعدة للجهاد في مصر والعالم العربي، قلب العالم الإسلامي، حيث تدور معركة الإسلام السياسّية بين المسلمين ورؤوس الحملة الصليبيّة الجديدة أمريكا واليهود وحكّام العرب المنفذين لسياساتهما»[10].

يسرد الظواهري عن بدايات العمل المسلّح في مصر ومبرّراته، فيرى أنّ العمليّات المسلّحة هي انعكاس حقيقي لأفكار سيد قطب[11]، وعبّر عن ذلك قائلاً: «**وذلك الطريق الذي كان للأستاذ سيد قطب، رحمه الله، دور كبير في توجيه الشباب المسلم إليه في النصف الثاني من القرن العشرين في مصر خاصّة والمنطقة العربيّة عامّة، فباستشهاد الأستاذ سيد قطب، رحمه الله، اكتسبت كلماته بُعداً لم يكتسبه كثير من كلمات غيره، فقد أصبحت هذه الكلمات، التي سطّرت بدماء صاحبها، في نظر الشباب المسلم معالم طريق مجيد طويل، واتضح للشباب مدى فزع النظام الناصري وحلفائه الشيوعيين من دعوة الأستاذ سيد قطب إلى التوحيد**»[12].

بدأ مسار الحركة الجهاديّة في مصر مع أفكار سيّد قطب التي اكتسبت بُعداً تنظيريّاً وتطبيقيّاً للعنف، ومازالت التنظيمات المسلّحة تحمل أفكاره من فضاء التنظير إلى فضاء التطبيق، فكلّ الجماعات المتشدّدة تستند إليه في تأصيل العنف.

كان سيّد قطب ملهماً لأفكار الجهاد التي وجدت بيئة للتطبيق على يديه من خلال تنظيم 1965، كما أنّه مثّل رافداً مهمّاً ومشتركاً جمع الإخوان المسلمين، التي اعتبرت كلماته شموعاً لطريقهم نحو العنف.

أنتجت جماعة الإخوان المسلمين ميليشيّات مسلّحة، كانت جزءاً من تركيبتها الفكريّة، توافقت الجماعة مع هذه الميليشيّات من الناحية التنظيميّة ومرّات كان التوافق من الناحية الفكريّة، فكانت وليدة أفكار التنظيم، غير أنّ هذا لا يمنع بعض الاختلافات مع هذه التنظيمات في بعض الأفكار وطريقة تنفيذها، وإن كانت الجماعة تتبرّأ من بعض هذه الميليشيّات إلّا أنّها لا تستطيع إنكارها.

10- فرسان تحت راية النبي صلى الله علية وسلم، أيمن الظواهري، مطبوعات منبر التوحيد والجهاد ط1، على شبكة المعلومات الدوليّة الإنترنت على، www.ilmway.com/site/maqdis/MS_874.html

11- سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، ولد في 1906 في قرية موشا، وهي إحدى قرى محافظة أسيوط بجنوب مصر، تلقى تعليمه الأوّلي بها وحفظ القرآن الكريم، ثمّ استكمل تعليمه بمحافظة القاهرة، وتخرّج في كليّة دار العلوم عام 1933، وعمل بوزارة المعارف، بدأ حياته أديباً وناقداً، والتحق بحزب الوفد الليبرالي ثمّ تركه، وأخيراً توجّه للأدب الإسلامي والتحق بالإخوان المسلمين فيما بعد، وأصبح عضواً في مكتب إرشاد الجماعة، ورئيس قسم نشر الدعوة بها، ورئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين، ويعتبر من أكثر الشخصيّات تأثيراً في الحركة الإسلاميّة (وتعرف أفكاره بالقطبيّة)، وتُعتبر كتاباته بمثابة دستور للحركات الإرهابيّة الإسلامويّة، ويُعدّ أشهر منظّري الإخوان المسلمين عبر تاريخهم.

12- فرسان تحت راية النبي، م. س. ذ، الجزء الأوّل، الباب الأول (البداية).

أولى هذه الميليشيّات المجموعات المقاتلة تنظيم «الفنيّة العسكريّة» التي تكوّنت في منتصف السبعينيّات من القرن الماضي على يد صالح سرية[13] الذي تواصل مع السيدة زينب الغزالي[14]، إحدى قيادات الجماعة ومرشدها حسن البنا.

حاول هؤلاء الشباب وكان أغلبهم ينتمي للإخوان المسلمين مقاومة السلطة بالعنف، حتى باتوا ملهمين لغيرهم نحو العنف.

تزامنت نشأة الجماعة الإسلاميّة في منتصف السبعينيّات من القرن الماضي مع محاكمة تنظيم «الفنيّة العسكريّة»، فتركت الشعارات التي كان يرفعها المتهمون أثراً في تشكيل وعي الجماعة الإسلاميّة التي أسّست فيما بعد جناحاً عسكريّاً ومارست العنف. وامتزجت شعارات هؤلاء الشباب في السجون وأثناء المحاكمات الخاصّة بتطبيق الشريعة بما كانت تتطلع إليه الجماعة الإسلاميّة والتي سعت لتطبيق الشريعة الإسلاميّة وإقامة «الدولة الإسلاميّة».

وعن جماعة الفنيّة العسكريّة وصلة هؤلاء الشباب بجماعة الإخوان المسلمين يقول زعيم تنظيم القاعدة «الظواهري»: «بدأ تكوّن مجموعة الفنيّة العسكريّة بوصول الشهيد، كما نحسبه، صالح سرية إلى مصر، وبدأ الاتصال برموز الإخوان من أمثال السيدة زينب الغزالي والأستاذ حسن الهضيبي، رحمه الله، ونشط في تكوين مجموعات من الشباب وحثهم على وجوب التصدّي للنظام الحاكم المعادي للإسلام في مصر»[15].

وممّا يؤكد علاقة التشابك بين جماعة الإخوان المسلمين وكلّ جماعات العنف أنّ محمّد عبد السلام فرج، صاحب كتاب «الفريضة الغائبة الجهاد في سبيل الله»[16] وأحد المؤسّسين للتيّار الجهادي، كان أحد ثمار الأفكار التي ولدت على خلفيّة قضيّة الفنيّة العسكريّة، التي بدأت صلتها بجماعة الإخوان المسلمين عند النشأة، كما أسلفنا الذكر، فتربّى «فرج» على أفكار الشباب الذين شكّلوا تنظيم «الفنيّة العسكريّة» والذي يُعدّ أوّل انقلاب عسكري إسلامي في العصر الحديث.

13- هو أحد مؤسّسي جبهة التحرير الفلسطينيّة، ثمّ أصبح إسلامي التوجّه، كوَّن جماعة الفنيّة العسكريّة في مصر التي حاولت عمل انقلاب عسكري إسلامي من خلال التنسيق مع جماعة الإخوان المسلمين، ونفّذ فيه حكم الإعدام على خلفيّة محاولة الانقلاب التي تمّت في عام 1974، واستهدفت اقتحام كليّة الفنيّة العسكريّة في مصر.

14- بدأت صلتها بجماعة الإخوان المسلمين بعد تأسيس جمعيّة السيدات المسلمات لنشر الدعوة الإسلاميّة بأقلّ من عام، واقترح عليها المؤسّس الأوّل حسن البنا ضمّ جمعيتها إلى الإخوان وأن ترأس قسم «الأخوات المسلمات» في الجماعة، لكنّها رفضت في البداية ثمّ عادت إلى التنسيق مع «الإخوان» بعد عام 1948 ، وأصبحت عضوة في الإخوان المسلمين، وكلّفها «البنا» بدور مهم في الوساطة بين جماعة الإخوان والزعيم الوفدي مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر حينها، كما لعبت دوراً مهمّاً في تقديم الدعم والمساندة لأسر الإخوان المعتقلين بعد أزمة 1954 مع قادة ثورة يوليو 1952

15- المصدر نفسه، الجزء الأوّل، الباب الأوّل (البداية).

16- يُعدّ كتاب الجهاد في سبيل الله الفريضة الغائبة الأساس الفكري الأوّل لتنظيم الجهاد الإسلامي في مصر، من تأليف المهندس محمّد عبد السلام فرج الذي أعدم في عام 1982 م في قضيّة اغتيال الرئيس المصري محمّد أنور السادات، منذ نشأة تنظيم الجهاد في مصر عام 1966م, فإنّ التنظيم لم يكتب تأصيلاً فكريّاً وفقهيّاً وعقائديّاً مفصلاً للاستراتيجيّة التي تبنّاها التيّار الجهادي في مصر إلا من خلال هذا الكتاب، وظلّ هكذا حتى عام 1980 م عندما كتب محمّد عبد السلام فرج كتابه الذي بشّر بقتل الرئيس أنور السادات.

يقول «الظواهري»: «وبعد عدّة سنوات حاول بعض من خرج من السجن من تنظيم الفنيّة العسكريّة إحياء التنظيم مرّتين؛ انتهت المحاولة الأولى بالقبض على المجموعة في سنة 1977م، وانتهت المحاولة الثانية بالقبض على الشباب «المجاهد» في سنة 1979م نتيجة وجود مرشد للمباحث بينهم، وكان «الشهيد»، كما نحسبه، محمّد عبد السلام فرج، صاحب كتاب «الفريضة الغائبة»، من الذين لم يقبض عليهم من المجموعة الثانية، وبدأ رحمه الله في الحركة النشطة في القاهرة والجيزة وشمال مصر»[17].

استغلّ الظواهري مناسبة سفره لرعاية مصابي الأفغان من الحرب في تكوين قاعدة الجهاد وعبّر عن ذلك بقوله: «لذلك جاءت هذه الدعوة للمشاركة في العمل الطبّي للمهاجرين الأفغان إليّ على قدر، ووافقت رغبة جادّة في التعّرف على الميادين المناسبة لإقامة قاعدة آمنة لاستمرار العمل الجهادي في مصر، خاصّة في عهد أنور السادات، حينما ظهرت ملامح الحملة الصليبيّة الجديدة واضحة لكلّ ذي رأي، بادية لكلّ مهتمّ بشؤون أمّته»[18].

ويؤكّد ما ذهب إليه «الظواهري» سفر أحد قيادات الإخوان المسلمين في ذلك الوقت، كمال السنانيري[19]، ففضلاً عن علاقته بالإخوان فإنّه كان من البصمات المهمّة في العمل الجهادي بأفغانستان في ذلك الوقت. ويُعبّر «الظواهري» عن ذلك قائلاً: و«كان قد سبقنا إلى بيشاور الأستاذ كمال السنانيري، رحمه الله، وكانت بصماته تسبقنا حيثما نذهب، فالمستشفى الذي بدأنا العمل فيه كان هو الرائد في إنشائه، وقادة المجاهدين الذين قابلناهم كانوا يحدّثوننا عن مساعدته لهم وعن مجهوده في التوحيد بينهم»[20].

ويشير إلى أنّ هناك نوعين من القيادة داخل الإخوان: أحدهما علني قد لا يكون له علاقة بالجهاد، أعضاؤه سابقون في العمل المسلّح، فقد كان ترتيب الإخوان المسلمين عجيباً، فالقيادة الظاهرة كان يمثلها المرشد العام الثالث، عمر التلمساني، أمام الناس والنظام. أمّا القيادة الحقيقة فقد كانت في يد مجموعة النظام الخاص من أمثال مصطفى مشهور، والدكتور أحمد الملط، والأستاذ كمال السنانيري[21].

17- المصدر نفسه، الجزء الأوّل، الباب الأوّل (البداية).

18- المصدر نفسه، الجزء الأوّل، الباب الأوّل (البداية).

19- محمّد كمال الدين بن محمّد علي السنانيري، ولد في القاهرة في 11 مارس 1918، انضمّ لجماعة الإخوان المسلمين في عام 1941، من أبرز نشاطاته دوره في أفغانستان، التي تعرضت للغزو الروسي وشهدت نشأة التنظيمات المتطرّفة، ووقعت في قبضته، وقد عمل على محاولة رأب الصدع بين التنظيمات الدينيّة المتناحرة ومحاولة إصلاح ذات البين بين قادة هذه التيّارات.

20- المصدر نفسه، الجزء الأوّل، الباب الأوّل (البداية).

21- المصدر نفسه، الجزء الأوّل، الباب الأوّل (البداية).

النظام الخاص...عنف الجماعة المتحوّل

تُرجع جماعة الإخوان المسلمين الهدف الأساسي من نشأة النظام الخاص إلى إعداد الفرد المسلم أو عضو الجماعة إعداداً صحيحاً للدفاع عن الوطن الإسلامي أو لإقامة «الدولة الإسلاميّة» وفق المفهوم المتخيّل للجماعة.

وعلى هذا الأساس قد يكون هناك مبرّر لنشأة هذا النظام قبل ثورة يوليو من العام 1952، في ظلّ وجود الاحتلال الإنجليزي[22] في ذلك الوقت، ولكنّ الجماعة كانت ترى ضرورة لوجوده حتّى بعد قيام الثورة وتشكيل مؤسّسات الدولة في ظلّ جمهوريّة وليده بعد إسقاط الملكيّة ورحيل الملك فاروق وتنازله عن العرش. كانت ترى في ذلك حفاظاً على الهدف الأساسي ممثلاً في الدفاع عن الإسلام وليس مصر، مع العلم أنّ الجماعة كانت كثيراً ما تبرّر وجود النظام الخاص بمواجهته للإنجليز عندما كانت مصر محتلة!

بعد الثورة تمّ إقرار قانون التجنيد الإجباري وإنشاء الحرس الوطني، وبالتالي لم يعد هناك مبرّر لوجود أيّ ميليشيّات عسكريّة، ووجودها يُعدّ اعتداءً صريحاً على الدولة التي ولدت من رحم ثورة يوليو، ولكنّ جماعة الإخوان كانت حريصة على وجود النظام الخاص حتّى بعد نجاح الثورة وقيام الدولة.

ويُعتبر حسن البنا صاحب فكرة إنشاء النظام الخاص أو ميليشيا الجماعة العسكريّة، بحيث تعمل بالتوازي مع دور الجماعة الدعوي، ورفض مرشدو الجماعة من بعده أيّ عروض لحلّه بعد قيام ثورة يوليو وتولّي جمال عبد الناصر السلطة[23].

كانت نشأة النظام الخاص في عام 1940، حيث عرض مؤسّس التنظيم حسن البنا على صالح عشماوي وحسين كمال الدين وحامد شريت وعبد العزيز أحمد ومحمود عبد الحليم إنشاء جناح عسكري للجماعة، تكون مهمّته حسب أدبيّات التنظيم مواجهة الإنجليز المحتلّين للبلاد.

عندما فكّر المؤسّس الأوّل لتنظيم الإخوان المسلمين في بناء الهيكل الإداري والتنظيمي للجماعة فكّر بالتوازي في بناء قوّة مسلّحة ملحقة بالجماعة، تأخّرت قليلاً عن بناء الهيكل الدعوي قرابة 10 سنوات، حيث اطمأنّ على القوّة العدديّة للتنظيم ووجود أتباع في كافة الأراضي ومن كافة المهن والعائلات في ذلك الوقت.

22- استمرّت الحماية البريطانيّة على مصر في الفترة ما بين 18 دجنبر 1914 و28 فبراير 1922، وقد كانت حماية صريحة فرضتها بريطانيا على مصر في ذلك الوقت، وتمّ تغيير أسم الدولة إلى السلطنة المصريّة، وتعتبر تاريخيّا جزءاً من الاحتلال البريطاني لمصر.

23- دعا الرئيس المصري جمال عبد الناصر في 15 تشرين الثاني نونبر 1953 إلى عشاء في بيته لمرشد جماعة الإخوان حسن الهضيبي وأعضاء مكتب الإرشاد، ووقتها لم تكن العلاقة بين الثورة والإخوان على ما يرام، وجرى الحديث عن النظام الخاص، وقال جمال عبد الناصر إنّ وجود هذا النظام هو دليل سوء نيّة الإخوان تجاه الثورة، وإنّه كان يفهم وجوده أيام الملك قبل الثورة، أمّا الآن فلم يعد لاستمرار وجوده سوى معنى واحد هو أنّ الإخوان ينوون السوء بحكومة الثورة، ولكنّ الجماعة رفضت حلّ النظام الخاص.

بعدها كلّف حسن البنا كلّاً من صالح عشماوي وحسين كمال الدين وحامد شريت وعبد العزيز أحمد ومحمود عبد الحليم[24] بقيادته بعد استشارتهم، غير أنّ محمود عبد الحليم تمّ تعينه في مدينة دمنهور بمحافظة البحيرة، فرشّح عبد الرحمن السندي لتولي شأن النظام الخاص ووافق حسن البنا، حسب رواية عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ»، والتي رواها أحمد عادل كمال في كتابه النقط فوق الحروف.

نجح حسن البنا في تحديد ملامح الهيكل التنظيمي للجماعة، وقد وضع فيه الإخوان في مراتب تنظيميّة، ووضع لوائح منظّمة للعمل داخل الهيكل التنظيمي العام ولطبيعة العلاقة بين أعضاء وقيادات التنظيم من الداخل وبين قواعد التنظيم العامّة ممثلة في السواد الأعظم، سواء المختارون بعناية من خلال الكتائب أو سواد التنظيم الذين تمتلئ بهم أُسر الجماعة، ونظّم أيضاً أطراً خاصّة للنظام الخاص، ووضع تقسيماً عامّاً كان منه إنشاء فرق الجوّالة التي كانت تجوب المحافظات باستعراضاتها.

تميل فرق الجوّالة التي أنشأها حسن البنا إلى الاستعراض الرياضي والعسكري، وكان أعضاؤها يتدرّبون على الرياضات العنيفة؛ فرغم حلّ الجماعة للجناح العسكري ممثلاً في النظام الخاص فيما بعد إلّا أنّها ظلّت متمسّكة بوجود فرق الجوّالة، ولكنّها كانت في إطار أضيق ممّا كانت عليه وقت المؤسّس الأوّل حسن البنا، قبل أن يُقتل، وكانت الهوّة تتسع وتضيق حسب الظروف الأمنيّة فيما يتعلق بنشاط هذه الفرق، وكانت تستغلّ ساحات الجامعات لهذه التدريبات، فيخرج الشاب مدرّباً ولديه الاستعداد والطاقة دون أن يكلّف التنظيم في الخارج عناء بذل مجهود في هذا الجانب ويوضع فيما يمكن أن نسميه بـ «الاحتياط» لحين الحاجة إليه في عمل عسكري، ومن ثمّ ليس مستغرباً أن تبذل الجماعة مجهوداً في التدريب والتواصل مع قواعدها من السواد الأعظم بعد أن تختار منهم نخبة لهذه التدريبات ثمّ تحيلهم للاحتياط، ولعلها كانت تستخدم بعض هؤلاء في بعض الأعمال العنيفة في المظاهرات، والتي يتوقع فيها استخدام العنف ككسر الأبواب أو الاعتداء على الخصوم أو مواجهة أجهزة الأمن والاعتداء عليهم أو مقاومة مواجهتها لهم؛ وهذا ما يمكن أن نسمّيه ببذور العنف التي ولّدها التنظيم لدى أعضائها أو جعل لديهم استعداداً لهذا العنف بصوره المختلفة.

كانت جماعة الإخوان المسلمين تضع برنامجاً تربويّاً لأعضائها وبخاصّة النظام الخاص؛ يتناول دراسة العقيدة مقسّمة ما بين حفظ وتلاوة القرآن الكريم وحفظ الأحاديث والتركيز على الاستشهادات التي تُحرّض على القتال في سبيل الله، فضلاً عن دراسة السيرة النبويّة والفقه والدعوة والرياضات المختلفة وغيرها من البرامج، والتي كانت تنتهي بامتحان كلّ شهرين أو ثلاثة أشهر وآخر بعد الشهر الحادي عشر

24- النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998، ص 150

لمعرفة مدى أخذ الإخوان بالبرامج التي من شأنها أن تجمع الإخوان على كلمة سواء نحو هدف واحد ودعوتهم جميعاً إلى السير في ركابها.

تتنوّع الأسئلة التي يمُتحن فيها أعضاء النظام الخاص ما بين أسئلة تختبر خبرتهم العسكريّة والقانونيّة والدينيّة التي اكتسبوها طوال فترات التدريب.

نعرض نماذج للأسئلة[25]:

السؤال الحادي عشر - الأسلحة الصغيرة - (16 درجة)

أذكر ما تعرفه عن ميزات قنبلة الأنيرجيا، وفيمَ تستعمل؟

السؤال الثاني عشر - المفرقعات - (20 درجة)

احتجت إلى قنبلة 75 ولم تجدها. اذكر تفصيلاً كيف تجهّزها محليّاً، وما استعمالها؟

وسؤال آخر عن استعمال النسف بالكهرباء واستعمال النسف بالفتيل؟

كانت مدّة الامتحان الذي وضعت له درجات في زمن 180 دقيقة للمعلومات العامّة التي يُطلب فيها من الممتحنين في سؤاله الثالث عشر والأخير، الوصف في سبعة أسطر جلسة شَهِدْتها في محكمة الجنايات؟ ثمّ ينتهي بسؤال آخر بأن يعلل الممتحن صلته بمن معه؟

كانت الجماعة تضع برنامجاً عمليّاً للدراسة في الفقه والسيرة والسنّة وموضوعات تتعلق بطبيعة العمل العسكري، كما بدا واضحاً في نوعيّة الأسئلة في الامتحان السابق، وكان هذا البرنامج يوضع حسب حاجات التنظيم، فكانوا يضعون لكلّ شهر برنامجاً مختلفاً ويعقدون كلّ شهرين أو ثلاثة أشهر اختباراً يوضح مدى أخذ الإخوان بالبرنامج، ويكون الامتحان بعد الشهر الحادي عشر لجميع مواد البرنامج، وكان الشهر الثاني عشر مراجعة شاملة، ثمّ يكون الاختبار النهائي بعد الشهر الثاني عشر.

ففي أحد الاختبارات التي سُمّيت بالمرحلة الأولى -الامتحان النهائي- وكان زمنه 180 دقيقة، جاء فيه ما يلي:

سابعاً: التكتيك (21 درجة)[26]

25- النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998، ص ص 347، 348

26- النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، م.س.ذ، ص ص 359، 360

1- اشرح باختصار تكتيكات الانسحاب.

2- ما أهميّة الدوريّات؟ وما أنواعها؟

3- ما القواعد التي يجب على قائد الجماعة أن يراعيها حال تسلل جماعته نحو العدو؟

وجاء في الامتحان نفسه (في: ثامناً) تحت عنوان حرب العصابات:

1- اذكر مواضع الطعن القاتلة وكيف تصيبها من خصمك؟

2- اشرح كوكتيل مولوتوف وكيفيّة استعماله؟

كان يتمّ توزيع البرنامج ما بين القرآن الكريم سواء تلاوة أو حفظاً أو مدارسة علوم القرآن المختلفة والحديث والسنّة، وكان يُلزم العضو حفظ أربعين حديثاً صحيحاً أو السيرة النبويّة أو الفقه وكان يَدرس من فقه السنّة بأجزائه الثلاثة، وكان يلزم العضو بحضور «كتيبة» كلّ شهر، ويُعلّم المصارعة اليابانيّة، كانت الدراسة نظريّة وعمليّة في ذلك الوقت، وكان يُوصي بإعدادها بالنسبة إلى كلّ منطقة جغرافيّة ويُؤدّي فيها امتحاناً عمليّاً، كما كان يُلزم العضو بممارسة الرياضة السويديّة، تمرين ما بين 15 إلى 20 دقيقة يوميّاً، والتدريب على استخدام الأسلحة الصغيرة، دراسة نظريّة وتطبيق عملي، ويتمّ التدريب أيضاً على حرب العصابات، ودراسة علم المفرقعات، ودراسة تكتيك الميدان أثناء المعارك الدائرة، من خلال رسائل تصل إلى كلّ الأعضاء.

هذا البرنامج وضع في مايو 1952 حتى يجد حظّه من التطبيق بين أعضاء الإخوان من النظام الخاص، وقد تمّ تعميمه بين الإخوان من غير أعضاء النظام الخاص، وانتقل البرنامج من القاهرة إلى غيرها من المحافظات ومنها إلى غيرها من الأقطار الأخرى.

وقد ترجم حسن البنا أفكار الجماعة التي صاغها بخصوص العنف في ممارسات عمليّة على أرض الواقع، وهو ما أعطاها شكلها الحالي وترك بصماته على تنظيم الإخوان؛ فتحوّلت إلى أكبر جماعة مصدّرة للعنف والتطرّف في العصر الحديث، فأغلب قيادات التنظيمات المتطرّفة خرجوا من عباءة التنظيم بأفكاره وسلوكيّاته.

ساهمت الجوّالة في رسم صورة التنظيم العسكريّة، فمنذ اللحظة الأولى لتشكيل فرق الجوّالة وهي تعمل في الرياضات العنيفة، وقد زرعت في نفوس من مارسها العنف، ويبدو أنّ المؤسّس الأوّل جعلها بديلاً للعمل

العسكري يمارسه القائمون على العمل الدعوي، فإذا كان أعضاء النظام الخاص يمارسون العنف وتدريباته، فلا بدّ لباقي القواعد من أن تكون على أهبة الاستعداد من خلال بعض التدريبات الرياضيّة الأخرى.

ولنعد إلى ذكر الجوالة، فما زلت أذكر تلك الطوابير الاستعراضيّة الضخمة التي كان يتراوح عدد المشتركين فيها بين الستة آلاف والعشرة آلاف جوّال...كنّا ننتهز الفرص لإجراء هذه الاستعراضات في الشوارع، لم تكن تلك المناسبات مقصودة لذاتها دائماً، وإنّما كانت ذريعة، وكان بيت القصيد إظهار قوّة الجماعة ومظهرها العسكري ولفت النظر إلى أنّ الجوالة بالذات هي القوى العسكريّة للجماعة، وفي هذا صرف للنظر عن التشكيل الجدّي الذي أعدّ سرًّا وفي كتمان تام بعيداً عن مظهريّات الجماعة وهو النظام الخاص[27].

كان حسن البنّا يلفت نظر المجتمع للتنظيم من خلال فرق الجوّالة، وكثيراً ما يشترك في عروضها من كانوا أعضاءً في النظام العسكري، وكانت تنظّم فرق الجوّالة عروضاً في الشوارع بشكل عسكري يُضفي المعنى ذاته الذي أشرنا إليه.

وما يؤكّد اتجاه فرق الجوّالة أنّها كانت تهتمّ أيضاً ببعض الاحتفالات وتشارك في بعض الأنشطة التي تُعطي انطباعاً بطبيعة تشكيلها والغرض منه، كأن تتجمع هذه الفرق في شكل استعراضي بمناسبة غزوة بدر، ومدلول ذلك، أنّ الله نصر المسلمين في هذه المعركة على الكفار فكانت المعركة يوم عزّ للإسلام وذلّ لأعدائه من الكفار، ولذلك بدا اختيار المناسبة مقصوداً في ذاته للآلاف المؤلفة من أعضاء الجوّالة التي كانت تخرج في الشوارع تستعرض قوّتها العدديّة، وكذلك تقوم بتأدية بعض الحركات الرياضيّة في الشارع أمام العامّة والخاصّة ومؤسّسات الدولة أو المملكة وقتئذٍ.

فرق الجوّالة إحدى وسائل الإخوان التربويّة، استخدمتها الجماعة في ممارسة أنشطتها، وظلت على وضعيتها حتى بعد تسعين عاماً من النشأة، كان يُشارك المؤسّس الأوّل في عروضها بالشوارع مرتدياً زيّها المعروف في ذلك الوقت.

كانت هذه الفرق تتحرّك بعروضها في شوارع القاهرة حتى تُبهر الناس، ثمّ تقوم المجموعات الدعويّة المسؤولة عن التجنيد بعملها فتجنّد العشرات والمئات بعد الانبهار بعروض الجوّالة، التي مثّلت نقطة الاستعداد لدى التنظيم ومنطلقها للعنف، ومارس من خلالها أعضاء الجماعة العنف.

27- النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998، ص ص 63، 64

من أهمّ نُظم جماعة الإخوان المسلمين أو وسائلهم نحو التربية الروحيّة أو الرياضيّة ما يُسمّى بالكتيبة، فضلاً عن وسائل التربية الأخرى مثل، الأسرة، والرحلة، والجوّالة كما أسلفنا الذكر، وكلّ هذه الوسائل لا تقلّ أهميّة في ترجمة الأفكار إلى سلوكيّات، وهي تعبّر عن مفهوم العنف الكامن أو الظاهر عند الجماعة.

والكتيبة عند الإخوان هي عبارة عن مجموعة مختارة من الإخوان يبلغون الأربعين عدداً في دار من دور الإخوان «شعبة أو المركز العام أو بيت مناسب من بيوت الإخوان»، وكان يحضره المرشد العام، وهو نظام تربوي بدأ عام 1937، وكتب حسن البنا لنظام الكتائب ما يُسمّى بالمنهج، وحدّد مراحل العمل وتكوين الكتائب، وكان يريد أن يصل عدد أفرادها إلى اثني عشر ألفاً «ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلّة»[28]، ولم يأخذ هذا المنهج طريقة العملي للتطبيق، ويبدو أنّه كان عنيفاً إلى حدٍّ ما، فسحبت قيادة الإخوان هذه الرسالة من أيديهم، وكانت رسالة خاصّة لا تُباع[29].

وعند التدقيق في تاريخ إنشاء الكتائب ندرك أنّها كانت بعد قرابة عشر سنوات على نشأة الجماعة الدعويّة، كما كانت مقدّمة لنشأة النظام الخاص الذي تولّى التدريب العنيف ومارسه فعليّاً من خلال القتل والتفجير، وهذا يتضح من مسمّاها «كتيبة»، وهو مصطلح عسكري قحّ، وسعى المؤسّس أن يصل أعضاء الكتائب إلى اثني عشر ألفاً.

ما يقال عن الجوّالة يقال عن الكتائب، إنّه مازال معمولاً بها داخل تنظيم الإخوان المسلمين، فمازالت إحدى وسائل الإخوان التربويّة، ومازال أفراد التنظيم يحضرون «الكتيبة» كلّ شهر ويتدارسون مفاهيم الجهاد في سبيل الله تُصاحبها عبادات روحيّة أخرى، تتغيّر وتتبدّل البرامج وفق خطّة تضعها الجماعة ويقرّها مكتب الإرشاد.

وكتب بعدها حسن البنا ما أطلق عليه «رسالة التعاليم»، وكان العنوان الذي على غلاف طبعتها الأولى «التعاليم، منّي إلى إخوان الكتائب»، كتبها ليوحّد بها أفهام الإخوان على ضوابط معيّنة ومعلومة[30].

ويدلّ هذا على أنّ «إخوان الكتائب» يختلفون عن باقي أفراد صفّ الإخوان وقواعده، فهؤلاء يتلقّون شكلاً من التربية يختلف بالكليّة عن المناهج التربويّة التي يتلقاها باقي أفراد الصف في الإخوان، فالمعطى الذي يُقدَّم لهم مختلف، والغرض الذي يتمّ إعدادهم من أجله مختلف هو الآخر. وممّا فعلته قيادة الجماعة على مرّ العصور أنّها قامت باستنساخ وسائل التنظيم التي أعدّها حسن البنا لهذه المجموعات الخاصّة وعمّموها

28- فقد روى أبو داود في سننه عن رسول الله: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُ مِائَةٍ، وَخَيْرُ الجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ».

29- المصدر نفسه ص 65

30- المصدر نفسه، ص 66

على باقي أفراد التنظيم، فكان نتاج ذلك تنظيماً شبه عسكري كان من السهل تحويله للعمل العسكري أو خروج مجموعات مسلحة من رحم الجماعة، كما حدث مؤخراً مثل حركة «حسم» و«لواء الثورة».

قال حسن البنا في رسالة التعاليم: «فهذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسموّ دعوتهم وقدسيّة فكرتهم وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجّه هذه الكلمات الموجزة، وهي ليست دروساً تحفظ لكنّها تعليمات تنفّذ، فإلى العمل أيّها الإخوة الصادقون وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبّعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقّون»[31].

وهو ما يؤكّد أنّ طبيعة الكتيبة تختلف عن الأسر التي يتجمّع فيها الإخوان وتمثل محاضن للتربية لكلّ الإخوان، التربية الخاصّة لأعضاء الجماعة في هذه الكتائب تختلف عن ظروف التربية لباقي أفراد الصف في الأسَر.

فقد خاطب حسن البنا أفراد الكتائب بقوله: «رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين»، كما جاء في نصّ رسالته التي أبرزناها، وتحدّث بعد ذلك عن بقيّة صفّ الإخوان فقال: «أمّا غير هؤلاء، فلهم دروس ومحاضرات وكتب ومقالات ومظاهر وإداريّات، ولكلّ وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات وكلاً وعد الله الحسنى»[32].

ويفهم من كلام البنا أنّ طبيعة نشأة الكتائب مختلفة، كما أنّ طريقة تلقينهم تختلف تماماً عن طريقة تلقين بقيّة الإخوان والتي تعتمد على الدروس والمحاضرات وما سلف ذكره على لسان المؤسّس، والذي أشار ضمنيّاً إلى أنّهم صفوة التنظيم، ولذلك أعدّ لتنظيمهم.

تتشابه الجماعة فيما بينها ولا يمكن لك أن تلمح اختلافاً ظاهراً، فأغلب مكوّناتها تلقّوا قدراً من التعليم والتدريب والتربية بشكل متقارب، لا اختلافات، فالمحصلة واحدة، في أنّ نموذج الإخوان واحد بأفكاره واستعداده للعنف، ولا يوجد فرق كبير بين من انضموا للنظام الخاص في الجماعة ومن عملوا في الأعمال الدعويّة، لأنّهم جميعاً تلقوا قدراً واحداً من التربية، وهم جميعاً لديهم استعداد لممارسة العنف، وقد فعلوا ذلك ولكن بدرجات وفق ما وظّفوا فيه، فهذا يعمل داخل النظام الخاص وهذا يمارس دوره وفق برامج تمثل الجوّالة والكتيبة الجزء الأكبر فيها.

31- المصدر نفسه، ص 66

32- المصدر نفسه، ص 66

وضع حسن البنا أركاناً للبيعة عددها عشرة، وهي مسلسلة «الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرّد والإخوة والثقة»؛ فهذه الأركان كفيلة بوجود تنظيم قوي حتى يُصبح عصيّاً على المواجهة، قارب عمره المئة عام؛ فطريقة التربية الروحيّة والعسكريّة وطبيعة الرباط الذي يجمع الإخوان ممثلاً في أركان البيعة والأصول العشرين كفيلة بوجود تنظيم قوي ومتماسك وقادر على مواجهة أيّة مخاطر محدقة من خارجه.

كان للإخوان نظام خاصّ، ونظام آخر أُطلق عليه وقتها قسم الوحدات وكان يرأسه ضابط في البوليس يُسمّى صلاح شادي، وكانت مهمّة هذا القسم نشر أفكار التنظيم بين ضبّاط وعساكر البوليس والجيش معاً.

وحدة الصفّ والجنديّة

حدث ما يمكن أن نسمّيه بعسكرة تنظيم الإخوان المسلمين وفق عدة مفاهيم، منها ما نُطلق عليه «وحدة الصفّ والجنديّة»، فهو تصوّر يؤكّد طبيعة هذا التنظيم الذي يميل إلى العمل العسكري أو شبة العسكري حتى في أعماله المدنيّة، وقد يطبّق الأحكام العسكريّة على أتباعه لمجرّد خلافهم أو اختلافهم، فالسمع والطاعة في المنشط والمكره تأتي في الأهميّة بمكان من صفات الانتماء والولاء والتجرّد التي تُعدّ شرطاً أساسيّاً في «الأخ المسلم» أو عضو الجماعة، ولعلّ هذا يفسّر قوّة التنظيم وتماسكه، رغم عمر التنظيم الذي تجاوز التسعين عاماً، وتضاعف أعداد مريديه، فأحكامه وقوانينه شديدة الصرامة ولا تسمح بمجرّد الخلاف حولها أو التمرّد عليها، ومن يتجرّأ، يلقَ نصيباً من العقاب يكون رادعاً لبقيّة أفراد التنظيم، وهذه الصفات لا تتوافر إلّا في التنظيمات شبه العسكريّة، وكثيراً ما تفرض هذه القيود لأمرين: أحدهما يتحدّد في إمكانيّة السيطرة على التنظيم صاحب الجسد الممتد، والثاني ميل التنظيم للعمل العسكري من خلال قوانينه الحاكمة.

هذه الأفكار مسؤولةٌ مسؤوليّةً كاملةً عن تنفيذ عشرات العمليّات المسلّحة، فقد جيّشت الشباب وجنّدت عواطفهم وألزمتها ضمن عقال «السمع والطاعة» فكان من السهل عليها ارتكاب العنف بإيمان وعقيدة.

في مقدّمة الأعمال التي تُحسب على هذه الأفكار، مقتل القاضي الخازندار ونسف أوراق قضيّة تفجير السيارة الجيب بمحكمة الاستئناف. فالعمليّتان كانتا في حياة حسن البنا المؤسّس الأوّل للتنظيم، وهما تؤكّدان علاقة المؤسّس بالعنف وليس بأفكاره فقط، وهنا يمكن الإشارة إلى أنّ العنف أفكارٌ وسلوكٌ وقد ترجمهما حسن البنا في حياته القصيرة، وما حدث في التنظيم بعده كان ترجمة للأفكار التي صاغها ولسلوكه الرديء في فهم الإسلام.

نُفّذت عمليّة نسف أوراق التحقيقات الخاصّة بمحكمة الاستئناف الكائنة بميدان الخلق بتخطيط من النظام، وتوفّي حسن البنا تاركاً إيّاه دون السعي لحلّه. غير أنّ أدبيّات الجماعة تحكي فقط عن تحجيم دوره بسبب ما أثاره من لغط بخصوص انفراد قادته بالعمل دون الإصغاء للقيادة الدعويّة.

بعد مقتل رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي[33] بأيام، وتحديداً في يناير من العام 1949، قامت الجماعة بتفجير محكمة الاستئناف، وهو ما اضطرّ حسن البنا أن يخرج عن صمته ببيان كان عنوانه «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»، وكان غرض النظام الخاص وقتها المتورّط في تنفيذ هذه العمليّة إعدام أيّ دليل قد يلحق تهمة تنفيذ عمليّات مسلحة بالجماعة بعدما وردت أسماؤهم في التحقيقات.

من أخطر عمليّات النظام الخاص تلك العمليات التي نفّذها ضدّ أعضائه وقادته، منها مقتل السيد فايز[34] الذي تمّ تعينه قائداً عامّاً للنظام الخاص، واحتلال أعضاء النظام الخاص لمقرّ الجماعة في محاولة لإرغام المستشار حسن الهضيبي، النائب الثاني للجماعة، على تقديم استقالته والاستمرار في منصبه.

والسؤال يطرح نفسه: هل نشأة النظام الخاص للإخوان كانت بهدف مقاومة الإنجليز ومحاربة اليهود كما تُشيع الجماعة في أدبيّاتها أم أنّ نشأته مرتبطة بمواجهة الخصوم في العموم؟

وإذا كان الغرض من النظام الخاص نبيلاً، كما أرّخ الإخوان لذلك، هل هذه هي الطريقة الوحيدة للمواجهة لو سلّمنا برواية الجماعة عن أسباب نشأة النظام الخاص؟ أم أنّ معسكرات التدريب كانت بديلاً لذلك دون الحاجة لنشأة جناح عسكري وجّه أسلحته إلى صدور الأبرياء من الخصوم، بل تعدّى ذلك إلى صدور الإخوان أنفسهم عندما قتل السيد فايز، الموكل إليه قيادة النظام من قبل حسن الهضيبي؟

أسئلة يطرحها العقل حول الغرض الحقيقي من نشأة النظام الخاص، وطبيعة الحياة العسكريّة التي كانت تفرضها الجماعة على أعضائها في الماضي ورواسب هذه الحياة على التنظيم من خلال اللوائح الداخليّة ومناهج التربية التي تصوغ عقل الإخوان، منها على سبيل المثال نظام الجوّالة والتدريبات البدنيّة التي كانوا يتلقونها.

ظلّ اغتيال السيد فايز لغزاً محيّراً للجميع، وإن كانت الجماعة قد رجّحت مقتله على يد النظام الخاص، على احتمال أنّه أفضى لمرشد الجماعة حسن الهضيبي بمعلومات عن طبيعة النظام وتسليحه وأقسامه

33- قام بحلّ جماعة الإخوان المسلمين في 8 دجنبر 1948، اغتيل رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي في 28 دجنبر عام 1948 في القاهرة، حيث قام القاتل المنتمي إلى النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين، وكان متخفياً في زيّ أحد ضباط الشرطة، وقام بتحيّة النقراشي حينما همّ بركوب المصعد ثمّ أفرغ فيه ثلاث رصاصات في ظهره داخل بهو وزارة الداخليّة.

34- يقول محمود الصباغ أحد قادة النظام الخاص في كتابة «حقيقة النظام الخاص»: كان السيد فايز المسؤول الحقيقي عن النظام الخاص بعد اعتقال كلّ من يعلوه في القيادة سواء من رجال الدعوة العامّة أو من رجال النظام الخاص، فقد اعتقل جميع أعضاء الهيئة التأسيسيّة وحيل بين المرشد العام وبين جميع الإخوان، فأصبح السيد فايز هو المسؤول الأوّل عن حماية «الدعوة» في هذه الظروف الشاذة وله حقّ الاجتهاد.

وقياداته، وهو ما يُعدّ خيانة تجيز قتله شرعاً من وجهة نظر القائمين على النظام الخاص وقتها؛ وهو ما اضطرّ محمود الصباغ والشيخ محمّد الغزالي والشيخ سيد سابق لزيارة عبد الرحمن السندي في بيته بفترة ليست طويلة لمعرفة عمّا إذا كانت له علاقة بالحادث أم لا، فلم ينفِ التهمة وخرج الثلاثة وهم على يقين أنّه وراء الحادث[35].

المثير للدهشة أنّ الجماعة لم تُجْرِ تحقيقاً في الحادث، كما أنّها لم توجّه أيّ اتهام لأحد بارتكاب جريمة قتل السيد فايز، وتُرك الأمر لظنّ بعض الإخوان أنّ عبد الرحمن السندي وراء مقتل السيد فايز أو على الأقل له علاقة بمن دبّروا الحادث.

وفي هذه الأثناء قام مرشد الجماعة بتكليف يوسف طلعت برئاسة النظام بعدما قام بفصل عبد الرحمن السندي؛ ويبدو أنّ الجماعة ومرشدها أرادوا عدم إثارة الغبار عليها، فتوجيه أيّ اتهام للسندي بارتكاب الحادث يعني بشكل أو بآخر وضع التنظيم في دائرة الاتهام الأبديّة وأنّ الجماعة تقتل أبناءها وهو ما قد يخيف الناس من الانضمام إليها أو العمل تحت لوائها.

من أهمّ القواعد الثابتة عن برنامج النظام الخاص المبالغة في السمع والطاعة في المنشط والمكره وكتمان السر؛ ولعلّ هذه المبالغة هي السرّ وراء إقدام بعض أفراد النظام على القتل لمجرّد صدور الأوامر إليهم. وتعدّى الأمر إلى محاصرة دار الإخوان وإرغام المرشد، حسن الهضيبي، على تقديم استقالته، وإن كانت الجماعة ترى أنّ المبالغة في إطاعة الأوامر بشكل مختلف هي بمثابة السر وراء العمليّات الفدائيّة التي قاموا بتنفيذها ضدّ الإنجليز.

أصدر النقراشي قراراً بحلّ تنظيم الإخوان؛ فقامت الجماعة ممثلة في نظامها العسكري بقتل رئيس الوزراء آنذاك محمود فهمي النقراشي وكان ذلك موافقاً يوم 28 دجنبر سنة 1948.

اغتالت جماعة الإخوان المسلمين في مارس 1948 القاضي الخازندار على يد عضوي التنظيم[36]، محمود زينهم وحسن عبد الحافظ، أعضاء النظام الخاص، وهو ما أثار حفيظة مرشد التنظيم وقتها معتبراً أنّ قتل الخازندار يعني انهيار الجماعة، ووصف الرصاصات التي أطلقت على «الخازندار» أنّها أصابته من فرط توقّعه بتأثير هذا الاغتيال على التنظيم.

دخل حسن البنا في مواجهة مع عبد الرحمن السندي قائد النظام الخاص، ولكنّها كانت مواجهة من أجل صلاحيات كلّ منهما، فإذا كان البنّا يعتبر نفسه مرشد الجماعة وقائدها ومؤسّسها، فإنّ عبد الرحمن السندي

35- صفحات من التاريخ...حصاد العمر، صلاح شادي، دار التوزيع والنشر الإسلاميّة، ط 1، 1987، ص 103

36- صدر عليهما حُكم بالمؤبّد في 22 نونبر 1948

يعتبر نفسه نِدّاً له، وله كلّ الصلاحيّات في إدارة النظام الخاص دون العودة لمرشدها، فقد كان يرى نفسه مرشد النظام الخاص دون غيره.

يقول عبدالرحمن السندي عن مقتل القاضي الخازندار، إنّه أصدر قراراً بقتله عندما قال البنا في مجلس عام إنّ «الخازندار» يستحقّ القتل، معتبراً ذلك إذناً بالقتل، على خلفيّة سماعه بالأحكام القاسية التي صدرت ضدّ أشخاص ضبطوا وبصحبتهم قنابل لم تنفجر أمام نادي الجيش الإنجليزي. وفي المقابل حُكم على سفّاح الإسكندريّة، ويُدعى حسن قناوي الذي ارتكب جرائم قتل وهتك عرض، بسبع سنوات فقط.

اختلفت جماعة الإخوان المسلمين بخصوص النظام الخاص؛ فتارة يرى البعض أنّه استقلّ بعمله عن «التنظيم»، وهو ما دفع المرشد الثاني للجماعة حسن الهضيبي، لإصدار تكليفاته بحلّه بدعوى أنّه خرج عن الهدف الذي أنشيء من أجله، وتارة يرى البعض أنّه كان تابعاً للتنظيم وكان تحت إمرة المؤسّس الأوّل حسن البنا، ولكن من المؤكّد أنّ صراعاً دار بين قيادة التنظيم الدعوي والنظام الخاص.

يعترف صلاح شادي أنّ حسن البنا تعمّد إعطاء صلاحيّات أكثر للتنظيم الخاص وعدم خضوعه لقيادة واحدة، وكان يقصد هنا قيادته، فهو قد أعطى صلاحيّات كبيرة لمسؤول التنظيم عبد الرحمن السندي، مبرّراً ذلك بقوله[37]: أدركت أنّ مرشد الإخوان إنّما كان يخطّط لأمر آخر هو ألّا يجعل كلّ رجال النظام الخاص تحت يد واحدة، دفعاً لما يمكن أن يواجه الجماعة من أحداث.

وعن مدى تغوّل عبد الرحمن السندي في صلاحياته يحكي صلاح شادي[38]، الذي تمّ تكليفه من قبل حسن البنا بالالتحاق بقسم الوحدات العسكريّة بالقوات المسلحة، أنّه كُلّف يوماً بمصاحبة «البنا» في اجتماع قادة النظام الخاص في مصر والأقاليم داخل منزل عبد الرحمن السندي في حي بولاق، ولم يكن لعبد الرحمن سابق علم بمصاحبتي للمرشد في هذه الزيارة، ويبدو أنّ المرشد لم يكن قد أبلغه بصحبتي له، ولذلك ظهر على وجهه الكراهية والامتعاض، حسب تعبيراته، وصارح المرشد بأنّه كان يلزم إخطاره مسبقاً قبل حصول هذه المفاجأة[39].

استطرد «شادي» قائلاً: إنّ عبد الرحمن السندي كان يتحدّث إلى حسن البنا كما لو كان الحديث بين نِدّيْن لا بين مرشد الجماعة ورئيس أحد أقسامها.

37- صفحات من التاريخ...حصاد العمر، صلاح شادي، دار التوزيع والنشر الإسلاميّة ط1، 1987، ص 35

38- المصدر نفسه ص 35

39- استشهد الضابط صلاح شادي، بهذا الموقف على أنّ عبد الرحمن السندي كان يناطح حسن البنا في صلاحيّاته، غير أنّ القراءة المحايدة للموقف تأخذنا إلى أنّ مسؤول النظام الخاص لفت نظر مؤسّس الجماعة في دعوته لشخص ما، بغضّ النظر، عن وضعيته في الجماعة، لاجتماع يحضره مسؤول النظام الخاص وقادة آخرون دون أن يطلعه بوجود قيادة أخرى من التنظيم الدعوي أو ممّن لا ينتمون للنظام الخاص.

فعلى قدر الصلاحيّات التي منحها «البنا» لمسؤول التنظيم والأهميّة التي كان يراها من وراء نشأته، إلّا أنّه كان ينظر إليه في الوقت ذاته على اعتباره مجرّد قسم من أقسام التنظيم، وعليه تحمّل هذه المسؤوليّة. ولعلّه قال قبل مقتله: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ولو عاد بي الزمن لعدت بالإخوان إلى زمن المأثورات، وهذا يعني اعترافاً بأخطاء قد ارتكبها بخصوص نشأة النظام الخاص أو العمل السياسي عموماً؛ فلو أنّ الأمر اقتصر على فكرة نشأة النظام الخاص لانتقد وجوده فقط، ولكنّه عرّج على فكرة العمل العام بأكمله، ورأى أنّ عودة الإخوان للمأثورات كان أكثر فائدة لهم ولدعوته التي أطلقها.

العمل السرّي... ومحاولة اغتيال عبدالناصر

أدمنت جماعة الإخوان المسلمين العمل السرّي من خلال نشاط النظام الخاص، الذي كان يعتمد بشكل كبير على السرّيّة، فكلّ العمليّات المسلّحة كانت تتسم بالسرّيّة، وهو ما انعكس بشكل كبير على طبيعة عمل الجماعة بأقسامها المختلفة سواء الدعويّة أو العمل المسلّح من خلال النظام الخاص.

من أبرز عمليّات النظام الخاص وفق قاعدة «السرّيّة» التي فرضتها الجماعة محاولة قتل الرئيس جمال عبد الناصر يوم الثلاثاء 26 أكتوبر 1954، بعدها مباشرة صدر حكم بالإعدام على سبعة من الإخوان يوم 4 دجنبر 1954، وتمّ تنفيذ حكم الإعدام بعدها بيومين في حقّ 6 من الإخوان بسجن الاستئناف بباب الخلق وتحديداً في 6 دجنبر 1954.

أصدرت محكمة الشعب (التي ترأسها ثلاثة أعضاء: قائد الجناح جمال سالم والقائم مقام العقيد أنور السادات عضو يمين والبكباشي مقدّم حسين الشافعي عضو يسار) قراراً بالإعدام في شأن: محمود عبد اللطيف، هنداوي ودير، عبد القادر عودة، إبراهيم الطيب، الشيخ محمّد فرغلي، يوسف طلعت.

بعض هؤلاء الإخوان الصادر في حقهم حكم بالإعدام كانوا ينتمون إلى النظام الخاص، وربّما أسندت لبعضهم مهام القيام بقيادة النظام الخاص مثل يوسف طلعت، والذي تمّ ترشيحه لمرشد الإخوان حتى يتولّى قيادة هذا النظام من قبل الشيخ محمّد فرغلي، الصادر بحقه حكم هو الآخر وكلاهما كانا من محافظة الإسماعيليّة، وجاء اختيار «طلعت» لهذه المهمّة في ظروف عصيبة لها علاقة بتعامل عبد الرحمن السندي، مسؤول النظام الخاص والذي كان يتعامل بندّيّة مع حسن البنا.

لقد نفت جماعة الإخوان المسلمين عن نفسها تهمة محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر، وفق آلة إعلاميّة تابعة للتنظيم فشلت في نفي التهمة التي ثبتت تورّط الجماعة التي كان لها ذراع عسكري في ذلك الوقت وقتل شخصيّات عامّة وتنفيذيّة وقضاة.

دعا الرئيس جمال عبد الناصر في 1953/11/15 مكتب إرشاد الإخوان في محاولة لإقناعه بمخاصمة العمل المسلح من خلال دعوته لهذه القيادات على العشاء في بيته، وجرى الحديث عن ضرورة حلّ النظام الخاص، الذراع العسكري للجماعة، إلّا أنّ الجماعة اعتبرت ذلك من الخطوط الحمراء التي لا يجوز لأيّ سلطة الاقتراب منها.

وقال إنّ وجود هذا النظام هو دليل سوء نيّة من الإخوان تجاه الثورة، وقال إنّه يفهم وجوده أيام الملك قبل الثورة، أمّا الآن فلم يعد لاستمرار وجوده سوى معنى واحد هو أنّ الإخوان ينوون السوء بحكومة الثورة[40]، فكان ردّ فعل الإخوان لاحقاً محاولة اغتيال «عبد الناصر»، خاصّة وأنّه سعى جاهداً لضرب أيّ ميليشيّات عسكريّة خارج سلطة الدولة.

جمال عبد الناصر كان من الإخوان المسلمين، وقد انضمّ إلى تشكيلات التنظيم، وأقسم على المصحف أن يحترم مبادئهم وأن يلتزم بخطّهم، وكان ذلك قبل أن يبدأ تشكيله الخاص. أمّا الرئيس محمّد أنور السادات، فلم يكن من الإخوان ولكن عندما اتهم بقتل أمين عثمان وأوقف عن عمله بالجيش وأوقف صرف مرتبه كان حسن البنا يرسل قيمة مرتبه إلى أسرته، كما يُحكى أنّ زوجة اللواء عبد المنعم عبد الرؤوف، باعت مصوغها وأعطت قيمته لأنور[41].

صدر قرار بحلّ جماعة الإخوان المسلمين مساء يوم 8 دجنبر 1948، في حين صدر قرار بقتل حسن البنا يوم 12 فبراير 1949، وهو اليوم السابق لتنصيب الملك فاروق عرش مصر؛ جاء ذلك عقب سحب ترخيص السلاح الخاص بحسن البنا وبعد إلقاء القبض على مجموعات الإخوان، ومن المفارقة أنّ «النقراشي» دفع ثمن حياته بعد الأمر العسكري بحلّ التنظيم، فلم تنقض سوى ثلاثة أسابيع حتى سقط النقراشي قتيلاً داخل وزارة الداخليّة وتحديداً في 12/28/ 1948.

قال قاتله عبد المجيد أحمد حسن[42] عن مبرّرات إقدامه على قتل الرجل الذي أخذ قراراً بحلّ التنظيم رغم أنّه كان وقتها ملء السمع والبصر وكان ذلك في حياة مؤسّسه الأول، حسن البنا: حلُّه تنظيم الإخوان المسلمين وخيانته لقضيّة فلسطين وتهاونه في شأن قضيّة الوحدة بين مصر والسودان[43].

أطلق عبدالمجيد ثلاث رصاصات على فريسته داخل بهو وزارة الداخليّة فأرداه قتيلاً في الحال، العجيب أنّ اغتيال «النقراشي» لم يكن مصادفة، إنّما بناء على تخطيط قبل العمليّة وبعدها، فالتخطيط

40ـ صفحات من التاريخ...حصاد العمر، صلاح شادي، دار التوزيع والنشر الإسلاميّة، ط 1، 1987، ص 349

41ـ صفحات من التاريخ...حصاد العمر، صلاح شادي، دار التوزيع والنشر الإسلاميّة، ط 1، 1987، ص ص 371-372

42ـ كان مرتدياً وقتها زيّاً عسكريّاً، ولم يتجاوز عمرة 21 عاماً.

43ـ النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998، ص 277

كان باغتيال إبراهيم عبد الهادي[44] وعبد الرحمن عمار، حين يحضران على أثر مصرع «النقراشي»، وكما يحكي صاحب النقط، فكان ينتظر الإخوان خارج الوزارة، وكان الهدف من انتظار كلٍّ من شفيق أنس ومحمود كامل السيد، هو تنفيذ عمليّة اغتيال أخرى لـ«عبد الهادي وعمار»، ولذلك ارتدى أنس زيّ كونستابل ومحمود زيّ سائق سيارة بوليس، ولم تكن هناك نيّة لتهريب عبد المجيد في الأساس بعد تنفيذ عمليّة اغتيال النقراشي، ولذلك تبعه صاحباه في محاولة لتنفيذ المهمّة التي أوكلت إليهما بعد مقتل النقراشي، فالجماعة لم تكتفِ بقتل «النقراشي» وإنّما سعت لقتل من كانت تعتقد أنّهم سوف يتولّون الوزارة بعده.

العجيب أنّ إبراهيم شفيق أنس، أحد المشتركين في حادث اغتيال النقراشي قد حصل على تأبيدتين؛ إحداهما في محاولة حرق محكمة الاستئناف وحكم آخر في قضيّة اغتيال النقراشي. وقد حاول شفيق في 13يناير عام 1949 إحراق غرفة التحقيق في قضيّة السيارة الجيب وفيها ملف القضيّة وأحرازها، وذهب شفيق يحمل حقيبة مليئة بالمتفجرات متظاهراً أنّه من وكلاء النيابة في الأقاليم جاء ببعض التحقيقات الهامّة لعرضها على النائب العام، وانفجرت الحقيبة محدثة دويّاً كبيراً وخلّفت وراءها قتلى ومصابين وأبرياء.

تمّ تنفيذ حكم الإعدام في عبد المجيد أحمد حسن، قاتل أحمد حسن النقراشي، في 25 إبريل 1950 في عهد وزارة الوفد بعد أن رُفض التماس أسرته بالعفو عنه.

وهنا يمكن التأكيد على أنّ الجماعة وجّهت سهام ذراعها العسكري للخصوم السياسيين وليس كما ادعت أنّها أنشأته بغرض مواجهة الإنجليز فقط، فكما اغتالت رئيس وزراء مصر محمود فهمي النقراشي، حاولت اغتيال إبراهيم عبد الهادي، ونجحت في اغتيال القاضي «الخازندار» وحاولت اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر أثناء احتفاله بذكرى جلاء الإنجليز عن مصر.

الجماعة تقتل أبناءها...اغتيال مسؤول النظام الخاص

استغلّ حسن البنا، مرشد التنظيم ومؤسّسه، إلقاء القبض على مسؤول النظام الخاص عبد الرحمن السندي، على خلفيّة أحداث قضيّة السيارة الجيب، وأولى المسؤوليّة إلى السيد فايز عبد المطلب، الذي كان يدرك أسباب مجيئه لهذه المسؤوليّة والمنصب التنظيمي وخلل العلاقة بين «السندي» ومرشد الجماعة، فكان أكثر حرصاً على هذه الرابطة التي كانت تتسم بالسمع والطاعة، كما نجحت الجماعة في اختيار شخص لا يشاكسها كما كان يفعل «السندي»، بل ويكون طيّعاً وينفّذ ما يؤمر به.

44- شكل الحكومة بطلب من الملك فاروق على إثر مقتل النقراشي باشا فقد كان رئيس الديوان الملكي وقتها، فألفها في ساعة متأخرة في مساء اليوم نفسه، وكان الملك يسعى إلى تأليف وزارة قوميّة تضمّ مختلف الأحزاب التقليديّة أملاً في توحيد الصفوف وتركيز الجهود لمواجهة الظروف الداخليّة والخارجيّة، وقد عرض عبد الهادي باشا على الوفد أن يشترك في الوزارة فرفض وطلب الحزب الوطني مهلة للتفكير، ولم تكن ظروف البلاد وحادث اغتيال النقراشي باشا تسمح بالتأخير في تأليف الوزارة ولذلك تقرّر تأليفها على وجه السرعة من السعديين والدستوريين وبعض المستقلّين.

وهنا يمكن التأكيد على أنّ مؤسّس التنظيم لم يقم بحلّ النظام الخاص وإنّما أصر على بقائه ولكن من خلال قيادة أخرى، غير أنّ هذه القيادة قتلت في ظروف غامضة وتكهنات باحتمال تورّط النظام الخاص ذاته في تنفيذ العمليّة، وهو ما يؤكّد أنّ الصراع بين «السندي» و«البنا» كان على قيادة الذراع العسكري، والذي كان يرى كلٌ منهما أهميته بدليل اختيار «البنا» بديلاً له رغم سجن «السندي» ولم يأخذ قراراً بحلّ «التنظيم».

خلاف الإخوان المسلمين حول مقتل السيد فايز كان كبيراً؛ فالقيادة العامّة للتنظيم وزّعت الاتهامات على قيادة النظام الخاص غير المرضيّ عنهم، وحاول مؤرّخو التنظيم إثبات ذلك بسبب عصيان هذه المجموعة وخروجها على قرارات المرشد.

هناك إذن محاولة لإيجاد مبرّر للأعمال التي سبق وأن رفضها التنظيم وتبرّأ منها، علاوة على ذلك، وهذا يبدو الأهم، التدليل على أنّ هذه القيادات خرجت على قرار المرشد، فضلاً عن مبادئ الجماعة التي أرساها مؤسّسها الأوّل، حسن البنا، فالخلاف كان في حياته، ومات دون أن يُصدر قراراً بالحلّ واكتفى فقط بتغيير القيادة.

قالت الجماعة من خلال الضابط صلاح شادي، الذي روى جزءاً كبيراً من أحداث النظام الخاص، إنّ أحمد عادل كمال، أحد قيادات النظام الخاص وضمن مجموعة عبد الرحمن السندي، وأحد الذين صدر بحقهم قرار بالفصل من النظام بسبب ما جاء في هذا القرار من أنّه خرج على القيادة العامّة للجماعة، إنّه كان يحمل حقيبة ذات محتويات خاصّة كان حريصاً على سريّتها إلى سيد عيد يوم حادث السيد فايز، خشية تفتيش بيته. ويعلّق صاحب النقط فوق الحروف، بأنّه كان معتاداً على التردّد على بيت سيد عيد، لأنّ منزله كان عبارة عن مخزن وأرشيف يحفظ فيه أعضاء النظام الخاص الأوراق الخاصّة بالعمل العسكري فضلاً عن طبّاعة بآلة الرونيو، وبالتالي كان التردّد على بيته أمراً طبيعيّاً.

ويستمرّ في تعليقه بقولة[45]: هذا لا ألقيه على عواهنه، فالسيّدة الفاضلة والدة سيد عيد، تعلمه وهي من الأمّهات المسلمات الصابرات، اللائي شاركن أبناءهنّ المحنة، كانت تستقبلني في غياب سيد وتسمح لي بدخول الحجرة أضع فيها وآخذ منها، أذكر ذلك مستشهداً بها أطال الله عمرها، وعبد العزيز شلبي أخو سيد عيد ورفيقه في البيت يعرفه أيضاً، والأخ إبراهيم صلاح كان يعرفه، ولكن ما جاء به صاحب كتاب «حصاد العمر» كان من نوع «ولا تقربوا الصلاة» أو «ويل للمصلين»، ذكر شيئاً وأسقط ما تعمّد إسقاطه من الحقيقة.

45- النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998، ص 144

في النهاية قتل السيد فايز بقرار من الجماعة أو نظامها الخاص، بعيداً عن اتهامات كلّ منهما للآخر، فإنّ واقع الاغتيال يؤكّد أنّ الجماعة تقتل أبناءها. فما حدث تعدّى عمليّة قتل الخصوم لقتل أعضاء الجماعة أو الخصوم داخل التنظيم نفسه.

وجّهت اتهامات كثيرة إلى عبد الرحمن السندي، مسؤول النظام الخاص، أغلبها من قيادات تنظيميّة داخل الجماعة عن مسؤوليته عن التفجيرات التي حدثت في القاهرة في فترة الأربعينيّات من القرن الماضي، وأنّه يتحمل قرار اغتيال بعض الشخصيّات النافذة في السلطة، وأنّ ذلك تمّ من وراء ظهر حسن البنا، مثل القاضي الخازندار ورئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي، وما كانت الجماعة توافق على تنفيذ مثل هذه العمليّات وقامت بتبرئة ساحتها، ولذلك كان المبرّر من وراء إسناد قيادة النظام الخاص إلى السيد فايز وقتما كان عبد الرحمن السندي داخل السجن بسبب اتهامه في قضيّة السيارة الجيب، وهو ما دفع إلى مقتله حسب الترجيحات من داخل النظام الخاص.

وجّهت قيادة الجماعة اتهاماً للسندي بأنّه كان وراء تفجير محكمة الاستئناف بهدف إخفاء الدليل وراء اتهامه من خلال حرق بل ونسف أوراق الاتهام والأحراز، وأنّ مرشد التنظيم وقتها، حسن البنا، كان يرفض العمليّة وأبلغ السيد فايز خارج السجن رفضه، غير أنّ صلاح شادي، في كتابه حصاد العمر، والذي يُعدّ أحد كتب الجماعة التي تمّ الاتفاق على ما ورد فيها من قبل التنظيم، خاصّة وأنّها شملت وروت أحداثاً تاريخيّة، وافقت الجماعة على نشرها من خلال الكتاب الذي التزم رؤية قيادة التنظيم قديماً وحديثاً وهاجمت كلّ من خرج عليها أو خرجت الجماعة عليهم، مدافعة عن وجهة نظر التنظيم.

تتلخّص رؤية صلاح شادي في أنّ عبد الرحمن السندي هو من أصرّ وهو داخل السجن على تنفيذ عمليته بتفجير محكمة الاستئناف، غير أنّ الرواية الأخرى، التي ذكرها أحمد عادل كمال مدلّلاً على ما ذهب إليه تختلف بالكليّة، مؤكّداً أنّ من نفّذ العمليّة وأعطى قراراً بها هو السيد فايز، وهو من عيّنه البنا مسؤولاً عن النظام الخاص.

يقول أحمد عادل كمال: «حادث المحكمة نفّذه شفيق إبراهيم أنس بأمر من السيد فايز ـ رحمه الله ـ شخصيّاً، وفوجئ عبد الرحمن السندي بالحادث ولم يكن له به علم مسبق، شفيق أنس لم أره منذ عشر سنوات على الأقل أطال الله بقاءه، حي يرزق، يسأله من يشاء دون أن أستأذنه في ذلك، ثمّ لا تعليق أكثر»[46].

46ـ النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998، ص 293

نفّذت جماعة الإخوان المسلمين حادث تفجير محكمة الاستئناف بباب الخلق بهدف التخلّص من أوراق التحقيقات التي أدانت عدداً غير قليل من قيادات الجماعة في مقدّمتهم عبد الرحمن السندي، مسؤول الجناح الخاص، وكان ذلك في 1949/1/13 في وزارة إبراهيم عبد الهادي.

حسن البنا لم يكن موافقاً على تصرّفات عبد الرحمن السندي، وإنَّ قيام الأخير بتنفيذ العمليّات المسلّحة دون العودة إلى مرشد الجماعة أمر خارج السياق ومشكوك فيه، خاصّة وأنّ تفجير محكمة الاستئناف كان بقرار من السيد فايز الذي عيّنه مرشد الجماعة على عينه، وكان مسؤولاً عن النظام الخاص بعد إلقاء القبض على «السندي».

ويستطرد عادل كمال في شهادته قائلاً: «حادث الخازندار أنفذه عبد الرحمن السندي دون استئذان المرشد، وحادث المحكمة أنفذه السيد فايز بعد رفض المرشد، يرحم الله الجميع، حسن البنا وعبد الرحمن السندي والسيد فايز وصلاح شادي، ويرحمنا جميعاً»[47].

كان بين صلاح شادي وعبد الرحمن السندي حبّ مفقود، كما وضّح ذلك صاحب النقط فوق الحروف، والسبب أنّ صلاح شادي كان يرغب في أن يكون ضمن قيادة النظام الخاص في حين كان عبد الرحمن يرى عدم صلاحيّة «شادي»، والذي لم يكُفّ عن رغبته هذه، ولم يعدل عبد الرحمن عن رأيه ذاك حتّى آخر عمره.

يفسّر أحمد عادل كمال[48] ذلك بأنّ «السندي»، لم يكتب عن صلاح شادي، ولكنّ «شادي» كتب في عام 1981 حصاد العمر كلّه عن عبد الرحمن السندي من منظوره هو بعد أن لقي عبد الرحمن السندي ربّه عام 1962 بتسعة عشر عاماً، وقد تضمّن الكتاب حوارات ثنائيّة بين الاثنين يتصدّى فيها صلاح شادي لعبد الرحمن السندي وقد توفي الأخير قبل أن يرد عليه، فالميدان خالٍ لبطل واحد.

مخابرات النظام الخاصّ

قسم يتبع النظام الخاص، كانت مهمّته تجميع المعلومات التي يتمّ استخدامها فيما بعد إمّا في تنفيذ عمليّات مسلّحة ضدّ الغير أو التصدّي لمحاولات الآخرين التي تهدف للنيل من التنظيم، ويعتمد النظام الخاص على هذا القسم كما اعتمدت عليه الجماعة في مراقبة أعضائها.

وينقسم الهيكل التنظيمي إلى[49]:

47- النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998، ص 2005
48- النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998، ص 139
49- النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998، ص 162

* رئيس القسم، يشرف على توجيه أعمال القسم بناء على توجيهات القيادة.

* وكيل القسم، يباشر توجيهات رئيس فرع المخابرات ومسؤول أمامه عن نشاط القسم.

* الوحدات، تتكوّن الوحدة من عدّة مجموعات أفرادها منتشرون بين الهيئات والحركات، لاستيفاء الأخبار وموافاة رئيس الوحدة بها وتوصية الأفراد وأمراء المجموعات كلّ في اختصاصه.

* الأفراد، عبارة عن مجموعات خماسيّة يوزّع أفرادها على الهيئات الآتي بيانها ولا يقلّ عن سبعين شخصاً توزيعهم كالآتي: 5 للدراسة والتعقّب، 15 للشيوعيّة، 24 لسبعة أحزاب وهيئات، 2 جهات أخرى، 2 حزب العمال، 10 نقابات العمال، 2 البوليس السياسي، 5 السكرتارية ورئاسة العمليّات.

* الأقاليم، ويلزم للقسم مكتب في كلّ إقليم، وينظّم مكتب الإسكندريّة على غرار مكتب القاهرة.

ومن أمثلة دور مخابرات الإخوان الذي كان يتبع النظام الخاص، حين نجح في إدخال أحد أفراده، ويُدعى أسعد السيد أحمد، إلى حزب مصر الفتاة، حتى وصل إلى الحرس الحديدي الذي أنشئ لحماية زعيم الحزب، أحمد حسين، وهذا الحرس كان مكوّناً من ستّة أفراد؛ ولمّا أصاب الملل أسعد من تلك المهمة، لأنّها كانت تحرمه من التردّد على دور الإخوان حتى لا ينكشف أمره، فذهب يعرض على الزعيم أحمد حسين أن يندسّ في صفوف الإخوان ليأتيه بأخبارهم، وأعجب وقتها الزعيم جدّاً بالفكرة، غير أنّ سعداً انكشف أمره في قضيّة السيارة الجيب، وتطوّع أحمد حسين شخصيّاً للدفاع عنه.

في فترات الخلاف بين حزب مصر الفتاة والإخوان، كان للإخوان مؤتمر كبير ومزدحم في دارهم بالحلمية الجديدة، فأرسل الحزب اثنين من أعضائه لتفجير عبوة وسط الجموع، وجاء الخبر اليقين لمرشد التنظيم، فاستقبلتهما الجماعة حتى يتمّ القبض عليهما وتمّ حبسهما في حجرة ببدروم مركز الإخوان بعد تجريدهم من المتفجّرات التي كانت بحوزتهما، وبعد المؤتمر اتصل البنا تليفونيّاً، حسب رواية أحمد عادل كمال، في كتابه النقط فوق الحروف، بأحمد حسين، وقال له «لك عندنا أمانة، إن كان يهمّك أن تستردّها فلتحضر»، وبحضور أحمد حسين سلّمه البنا عضوي حزبه والمفرقعات التي كانت بحوزتيهما[50]، وبذلك كان للمخابرات دور في رصد ما كانت ترغب الجماعة في معرفته.

وهذا يؤكد تفرّد النظام الخاص بإدارة شؤون الجماعة واعتماد التنظيم عليه إلى حدٍّ كبير، وليس كما يروّجه البعض بأنّه مجرّد قسم من أقسامها وأنّ السلطة للتنظيم ولا ولاية للنظام الخاص على الجماعة، فالعكس هو الصحيح.

50- النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998، ص 166

قد لا يكون للنظام الخاص وجود مماثل لما كان عليه في السابق، خاصّة وأنّ الجماعة في علاقتها بالعنف مرّت بعدّة تحوّلات، إلّا أنّ نظام المخابرات التابع للنظام الخاص مازال يعمل بصورته من خلال الجماعة دون وجود هيكل تنظيمي له، فالفكرة مازالت تعمل داخل عقل التنظيم ويرى أهميتها حيث يرى تفعيل هذا القسم يحافظ على البناء الهيكلي للجماعة.

تصوّرات الانتماء التنظيمي وتحوّلات العنف

دائماً ما تُعطي التنظيمات الدينيّة لأبنائها تصوّرات خاطئة عن الحياة، حتى تحتفظ من خلالها ببقاء العضو داخل التنظيم لفترة طويلة، وإذا ما حاول أن يخرج يعود للتنظيم ثانية، فتكون له بمثابة الماء الذي لا يمكن أن يخرج منه السمك، وإذا حدث يفقد بقاءه، فإمّا يعود سريعاً أو يختار لنفسه أن يغادر الحياة، ليس حياة التنظيم فقط وإنّما حياته التي يستنشق من خلالها الهواء، أحد أسرار البقاء.

تصوّرات الانتماء التنظيمي لا تنفكّ عن مفهوم الجماعة للعنف وتحوّلاته، فقضيّة ممارسة العنف مرتبطة بشكل كبير بقدرة الجماعة على فرض إرادتها على أتباعها وتوجيههم في دائرة العنف أو محيطه.

وفي هذا السياق دائماً ما يوهم التنظيم أتباعه بأنّ لديه إجابات واضحة لكلّ التساؤلات التي تجول في خاطر المنتمين؛ فيحاول أن يخلق مجتمعاً موازياً لأعضائه، ولا نبالغ إذا قلنا إنّه يخلق مجتمعاً بديلاً للواقع، يطالب فيه الأتباع بالتنازل عن المجتمع الحقيقي والواقعي لمجتمع افتراضي ترسم خطوطه الجماعة بقوانينها وتشريعاتها.

هناك من يفيق من حالة التخدير التنظيمي وهناك من تأخذه راحة الاسترخاء في مجتمع يداعب المشاعر والأحاسيس، وهنا تسعى الجماعة لدغدغتها بهدف السيطرة على النفس البشريّة والتعامل مع أسرارها المختلفة، وقد يفسّر ذلك ولاء هؤلاء الأتباع لتنظيماتهم وكأنّه ولاء لعقيدة أو دين يرقى لمرتبة التقديس، فيرى التنظيم نفسه على أنّه يمثّل الإسلام ويرى ما دونه الكفر بدرجاته حسب طبيعة الخصم، وهذا هو سرّ سيطرة التنظيم على الأتباع وتوجيههم في دوائر العنف دون جدال أو رفض.

هناك من يترك التنظيم ليذهب بعيداً في أقصى درجات التطرّف الفكري، وغالباً ما يكون السبب التنظيم الذي دفعه للشك في كلّ ما تعلّم واكتسب من مهارات، محاولاً أن يبني معارفه من جديد بعدما أدرك أنّ هناك علوماً ومعارف أخرى غير التي أصرّ التنظيم على أن يكون أسيراً لها في فترة انتمائه.

رحلة الشكّ التي تنتاب بعض الأتباع تدفعهم لمحاولة الاستكشاف وبناء معارفهم بشكل ذاتي، غالباً ما ينجح هؤلاء بعد أن صدمهم الانتماء التنظيمي بجموده ففصلهم عن العالم من حولهم. من الدروس التي قد يتعلمها العضو أنّه لا يوجد يقين دائم، كما أنّه يرفض الانسياق مهما كان الدليل ومهما كان دليله.

يوضع العضو تحت أنواع كثيرة من التخدير التنظيمي تمنعه من الإفاقة، حتى يظلّ أسيراً وغير قادر على إحداث التغيير المطلوب أو المراجعة مهما كانت درجاتها، وهنا تبدو سطوة التنظيم أكثر من أيّ شيء وأصعب، خاصّة إذا كانت السطوةُ فكريّةً.

ربطت الجماعة حركة العضو بحركة التنظيم نفسه، فما من حركة أو سكنة كبيرة أو صغيرة إلّا وللتنظيم دورٌ فيها، فأضفى صفة القدسيّة على التنظيم، وهناك من زاد في التقديس، فأصبح التنظيم في نظر أتباعه وكأنّه نصف إله يُعبد، وبالتالي يظلّ العضو أسيراً ما بقي في الحياة ما بين إله يُعبد في السماء وإله يُعبد في الأرض وهو «التنظيم».

ينجح التنظيم في تحريك أتباعه من خلال أجهزة التحكّم «الريموت كنترول» والتصنيف الأخروي، هؤلاء زمرة المؤمنين حقاً، وهؤلاء زمرة الكفار، وهناك تكون المعجزة في الشخص الذي يفيق وليس في الشخص الذي يظلّ متبوعاً إلى يوم الدين بأفكار التقديس للتنظيم.

الحلقة الأساسيّة في معادل العنف عند الإخوان تظهر في التصوّرات التي تحكم مفهومه، فعندما عمّق المؤسّس الأوّل حسن البنا مفهوم العنف لعب على وتر التصوّرات، وعندما أبقت الجماعة على هذا المفهوم كان من خلال اللعب أيضاً على التصوّرات، فهي التي تتحكّم في مفهوم العنف وتغيّراته، ولا يمكن تناول تحوّلات العنف دون فهم مسبق لتصوّرات الانتماء التنظيمي.

المصلحة الانتهازية... باب العنف الخلفي

تحكم الجماعات والتيّارات الدينيّة فكرة المصلحة الانتهازيّة، وهي الرؤية نفسها التي تتعامل بها الجماعات السياسيّة، لا فرق بينهما؛ تُشكّل الانتهازيّة الإطار الحاكم للعلاقة التي تجمع كيانات الجماعة الداخليّة بعضها ببعض، والتي تجمع الجماعة بغيرها من الكيانات الأخرى سواء كانت سياسيّة أو اجتماعيّة أو ما دون ذلك.

وقد عمدت الجماعة في بدايات نشأتها الأولى على يد مؤسّسها حسن البنا إلى الصدام مع بعض الكيانات السياسيّة الكبيرة التي كان يُعدّ حزب الوفد أحد رموزها باعتباره أكبر معارضة قويّة في ذلك الوقت، فما بين المهادنة والعلاقات المتوازنة تصل الجماعة إلى مرحلة الانقلاب على الحزب ورجاله عندما

كانوا في السلطة، وطوراً لصالح الحزب. فالمصلحة الانتهازيّة كانت أهمّ سبب لتحوّلات جماعة الإخوان إلى العنف، فطالما كانت للجماعة أو التنظيم مصلحة فهي تنتهز الفرصة بغضّ النظر عن مشروعيّة ذلك، وتستخدم في ذلك العنف كمحاولة للتغيير، وغالباً ما تكشف الممارسة عمّا إذا كانت الجماعة تمارس هذه الانتهازيّة أم لا، والواقع يؤكّد هذا الاستخدام، وهنا يكون العنف وسيلة لتحقيق غاية يمكن أن تكون ممثّلة في الانتهازيّة وليس العكس.

وإذا دقّقنا النظر في مرحلة بدايات النشأة، نجد أنّ جماعة الإخوان كانت تمثّل ركيزة لأضلاع القوى الحاكمة في مصر، أي القصر مع الوفد، بينما يأتي الإنجليز كضلع ثالث مكمّل للمثلث القويّ. وكثيراً ما كانت العلاقة تتوتّر بين الأضلاع الثلاثة، وكثيراً ما كانت تستفيد الجماعة من هذه العلاقة لصالحها سياسيّاً، فضلاً عن وجود عامل جيني داخل التنظيم يدفعها لممارسة الانتهازيّة لتحقيق أهداف يراها التنظيم تلغي مشروعه ويبذل في سبيل تحقيقها كلّ وسيلة متاحة، مشرّعاً هذه الوسائل تحت لافتة الغايات النبيلة.

الشيء نفسه فعلته الجماعة مع رجال الثورة من قبيل الترتيب لثورة 23 يوليو ومرحلة انسجام وتناغم بين أهداف القائمين عليها والمجتمع لمرحلة الانقلاب على رجال الثورة والمجتمع من أجل تحقيق ما يراه التنظيم غايات نبيلة حتى وإن كانت الوسائل غير نبيلة.

تاريخ الجماعة يكرّر نفسه، فالجماعة التي آثرت الصدام بالمجتمع ومؤسّساته في يوليو عام 1952 هي الجماعة ذاتها التي اصطدمت بالمجتمع في يونيه 2013 عندما خرجت الجماهير تطالب بإجراء انتخابات رئاسيّة مبكرة، وبتطوّر الأوضاع السياسيّة وتماشياً مع فكرة الصدام التي تنتهجها الجماعة استشعاراً بأنّها الأحق وأنّ المجتمع قاصر، وبالتالي يحتاج إلى وصاية ممّن يدركون كنه الأشياء وحقيقتها، ومنها تطوّرت الانتفاضة إلى ثورة هدفها تصفية حسابات مع كيان أسبق في قدمه من كيانات سياسيّة كثيرة سادت المشهد، وذهبت كثيراً لاستخدام العنف بهدف ترجمة هذه الانتهازيّة.

فقد تدعو الجماعة إلى الديمقراطيّة، وقد تكون صادقة في دعوتها، والهدف بطبيعة الحال الاستفادة منها وليس تصديرها للناس، ولكنّها قد لا تستخدم هذه الديمقراطيّة داخل مؤسّساتها إلّا في إطار لا ينازع رغبات القادة وما وضعوه من لوائح أو ما يقرّرونه، كما أنّ هذه الديمقراطيّة لا يمكن أن تكون اللغة بين الجماعة وما سواهم، فهي مجرّد شعار تزاول من خلاله الجماعة المجتمع، والحقيقة أنّ العنف هو لغتها الأصيلة في التعبير عن نفسها.

فقد يسمحون بالديمقراطيّة داخل بعض الهياكل التنظيميّة إذا لم تصطدم برغبة القيادة ورؤيتها، وما دون ذلك تصبح هذه الديمقراطيّة مجرّد هراء لا قيمة له، وتتحوّل مجالس الجماعة إلى مكان للكلام فقط،

بينما ترى القيادة شيئاً آخر، وهناك لا تكون الديمقراطيّة ملزمة ولا يمكن انتقاد القيادة التي أخذت بالشكل الديمقراطي من خلال فتح الحوار حتّى ولو لم تأخذ بها.

وعبّر أحمد عادل كمال في كتابه النقط فوق الحروف عن حالة الشيخ أحمد السكري، وكيل الجماعة وصديق حسن البنا الصدوق، وأحد الذين نشأت الجماعة على أكتافهم عندما قال: «إنّ الجماعة تدعو للديمقراطيّة داخل مؤسّساتها ولكنّها تضيق ذرعاً بها، تستخدمها في أوقات وتخرج عليها في أوقات أخرى»[51].

كثيرًا ما تخلط الجماعة بين الخطاب الديني الثابت والمقاصد السياسيّة المتغيرة، فتدعو لاحترام الديمقراطيّة وآليّاتها للوصول لأهدافها المشروعة، بينما نراها ترفض الديمقراطيّة في ممارساتها بدعوى حتميّة السمع والطاعة للأمير أو المرشد واحترام قواعد الجماعة ورؤية القيادة.

سرّيّة العنف وعلنيّته داخل الجماعة

تُشكّل فكرة السريّة والعلنيّة ركناً أساسيّاً في تفكير الجماعات الدينيّة، والتي تختلف فيما بينها؛ فكلما أوغلت الجماعة في السرّيّة، كانت أقرب إلى العنف لسبب يرتبط بالبنية الفكريّة والتنظيميّة. وهذه الجماعات غلّبت العنف كأداة فاعلة لتحقيق مطالبها، وهناك تنظيمات أخرى حائرة بين العلانية والسريّة، فتارة تنحو في اتجاه العلانية إرضاء لقواعدها أو أنّها تريد أن تثبت أنّها سلميّة الأفكار وتأخذ الوسطيّة منهجاً لها، ومرّات تأخذ السريّة كأساس لبعض تحرّكاتها معتبرة نفسها في مرحلة «دار الأرقم بن أبي الأرقم»، وهو ما يتطلّب منها الاختفاء والعمل من خلف ستار خشية الكشف عنها، وكثيراً ما يؤدّي هذا الاختفاء لحالة من العفن، بعدما غاب عن الأفكار النقد المباشر تحت مبرّرات السرّيّة وثقافة المحنة التي تفرضها على التنظيم...ومع الوقت تصبح كلّ الأفكار غير سويّة، ومع الوقت يتوارى قادة التنظيم أكثر في السرّيّة حتى لا تظهر الأفكار الجديدة على السطح.

من أهمّ الجماعات التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المضمار جماعة الإخوان المسلمين التي قضت نصف حياتها ملازمة السرّيّة والنصف الآخر تراهن على العلانية. فعلى مستوى التنظيم وبينما تأخذ الجماعة خطّ العمل العلني من خلال قيادات معروفة وتمارس عملها في التنظيم تجد قطاعاً آخر يمارس دوراً غامضاً وغير معلن. وغالباً ما تكون هذه القيادات هي النافذة على المستوى التنظيمي وبيدها القرار، وكثيراً ما يؤخذ القرار في مطبخها، وهناك تكون الجماعة قد حققت هدفها بين ممارسة العمل العلني لإظهار صورة أرادتها للرأي العام وقواعدها وحقّقت ما تراه صحيحاً في ضرورة أن تسير الدعوة في خطوات ثابتة بعيداً عن العلانية.

51- النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998، ص 221

العمل السرّي يدفع صاحبه لممارسة العنف حتماً أو أنّه أصبح سرّيّاً بسبب ما يمارسه من عنف، والمراوغة بين العمل السرّي والعلني يؤكّد وجود علاقة أصيلة بالعنف، فلا يمكن لفكرة أن تختبئ وهي صحيحة لم يصبها السقم، وعدم سعيها للتواجد العلني بين الناس دليل سقمها وتحولّها للعنف.

العزلة المجتمعيّة والعنف

تعيش جماعة الإخوان المسلمين في عزلة مجتمعيّة، وترى ضرورة في أن تحبس أتباعها في هذه العزلة للحفاظ عليهم من أيّ هوى قد يميل بهم شرقاً أو غرباً بعيداً عن الفكرة الأساسيّة التي تمثّل العمود الفقري للتنظيم.

العزلة المجتمعيّة جزء من أدبيّات الجماعة؛ قد تبدو الجماعة منفتحة على المجتمع من خلال المشاركة في فعاليّات كثيرة ومختلفة ومتنوّعة، ولكنّها في الوقت ذاته ترفض الانفتاح على الآخر أو حتى التأثر به اعتقاداً بحكمتها، وهو ما يتنافى مع فكرة أن تأخذ من هذا الآخر أو تتأثر به، والأهم أنّها تحاول أن تحافظ على الهيكل التنظيمي لأتباعها من خلال عزلهم عن المجتمع وأفكاره.

يوفّر التنظيم مجتمعاً بديلاً لأعضائه حتّى يعزلهم، فتراهم يعيشون داخل المجتمع ولكنّهم يتمرّدون على قوانينه وتشريعاته، وهو ما يطلق عليه بالعزلة الشعوريّة، فتوفر لك الجماعة أن تعيش حياة كاملة بداخلها، قد تعمل في مؤسّسات الجماعة بمقابل مادي، كما توفر الجماعة رحلات ترفيهيّة لأتباعها حتى لا يمتزجوا ببقيّة أفراد المجتمع ولا يتأثّروا بهم، وهنا ترى الجماعة ضرورة أن يشعر التابع بها لا بالمجتمع فيكون ولاؤه لها دون غيرها.

وفي سياق تحقيق المجتمع البديل والعزلة الشعوريّة يوفر لك التنظيم شريكة الحياة بشروط تضمن بقاءك عندما يكون شريك العمر على الأفكار نفسها والانتماء للتنظيم.. الجماعة توفر لك ما تريده وما لا تريده بشرط ألّا تخرج عليها أو منها، فهي توفر لك دائرة الأصدقاء وتشغلك بالأعمال التنظيميّة التي تجعلك لا تنتبه لغيرها.

العزلة المجتمعيّة التي تفرضها الجماعة تدفع التابع أو العضو إلى أن يعتمد اعتماداً أساسيّاً على فكرة العنف، على الأقلّ للدفاع عن مجتمعه الذي يراه في التنظيم ولا يرى المجتمع بسبب ما فرضه التنظيم من قيود ألزمته البقاء بداخله بعيداً عن العالم الحقيقي.

من أهمّ صور العزلة المجتمعيّة التي فرضتها الجماعة على أتباعها، رفضها انضمام أيّ من أعضائها لأيّ أحزاب غير حزب الحريّة والعدالة الذي أنشأته الجماعة بعد ثورة 25 يناير، وقد أحالت المئات للتحقيق التأديبي ووقعت على بعضهم إجراءات الفصل بسبب عدم تقيّدهم بهذا المبدأ.

إنّ الهدف من هذه الإجراءات هو ابتزاز الآخرين ممّن كانت تراودهم أنفسهم الخروج من طوق الجماعة وهيمنتها في ما يمكن أن يختلف فيه مع التنظيم عبر قناعات سياسيّة. فهناك أعداد كبيرة من الإخوان لم ينضمّوا لحزب الحريّة والعدالة، ولكنّهم في الوقت ذاته لم يجرؤوا على الانضمام لأحزاب أخرى غير الحريّة والعدالة، واكتفوا بما يمكن أن نسميه العشق الحرام في عالم السياسة، وهذا ما كان يدفع مجموعات كبيرة من التنظيم إلى نقد حزب الجماعة، هم غير قادرين على الانضمام لحزب آخر ولكنّهم في الوقت ذاته غير موافقين على سياسات حزب الجماعة ولا يجدون سوى النقد وسيلة للتعبير عن غضبهم.

الثقافة الأبويّة والعنف

غالباً ما يكون معيار القيادة داخل تنظيم الإخوان مرتبطاً بطول الفترة التي قضاها العضو في السجن؛ فيرى التنظيم في هذه الشخصيّة إخلاصاً يدفعها لوضعها في قيادة الجماعة، حيث تعتبرها قد نجحت في الصبر على محنة السجن، وبالتالي فهي تستحق موقعاً قياديّاً سوف تكون أمينة عليه، وهذا يُعدّ صورة من صور تخليد فكر الأزمة.

وبهذه الثقافة الأبويّة لا يعترض العضو على أفكار الجماعة أو مناقشتها أو رفضها، ويمكن ترجمة العنف كسلوك من خلال الزاوية نفسها، فالتنظيم يستطيع أن يفعل أيّ شيء وكلّ شيء تحت معاني الثقافة الأبويّة، خاصّة وأنّ كثيراً من القيادات يتمتّعون بهذه الصفة ويمارسون دورهم داخل التنظيم من خلال هذه الثقافة.

فمن كان مطارداً من قبل الأنظمة السياسيّة المتعاقبة حسب رؤية تنظيم الإخوان سوف تكون لديه قدرة على الوفاء بالتزامات الموقع التنظيمي الذي يتولّاه.

إنّ صراع الإخوان مع الخصوم مبنيّ دائماً على حتميّة الانتصار في معركة أخذت شكلاً مقدّساً في فصلها بين الحق والباطل؛ وهو ما يفسّر سرّ الشخصيّة الملهمة داخل التنظيمات الدينيّة أو ما يُطلق عليه «الأمير» أو «المرشد» أو حتى «النقيب»، يتبدّل مُسمّى هذه الشخصيّة من تنظيم إلى آخر، ولكن تظلّ العلاقة الروحيّة التي تجمع قيادات هذه التنظيمات بقواعدها من خلال شخص يُكنّ له الأتباع التقدير التنظيمي والإجلال الروحي، ويسمعون ويطيعون له فضلاً عن كونه يُشكّل الجزء الأكبر من اهتماماتهم،

وهو ما يُفسّر سرّ العلاقة بين قيادات هذه التنظيمات وأتباعهم في معركة يرى فيها أحد الطرفين أنّه منتصر حتى قبل أن تبدأ.

ومع ذلك نستطيع أن نقول إنّ تنظيم الإخوان يهتمّ أكثر بصياغة التابع قبل أن يهتمّ بصياغة القائد؛ فرغم أنّ البنا قتل في 12 فبراير 1949، إلّا أنّ المستشار حسن الهضيبي لم يتسلّم مهامه كمرشد عام للجماعة إلّا في 19 أكتوبر 1951، أي أنّ الجماعة ظلّت ثلاث سنوات بلا قيادة.

لم يهتمّ حسن البنّا كثيراً باختيار خليفة له، أو ربّما لم تُهيئ له الظروف ذلك، خاصّة وأنّه قتل في سنٍّ مبكّرة، وعلى كلّ الأحوال تربية الأتباع أهمّ للتنظيم، وقد يكون ذلك سبباً مباشراً في التأخّر في اختيار خليفة بعد مقتل البنا، فهدف التنظيم وجود أتباع مخلصين أكثر من وجود قادة.

القيادة تتحكّم في دخول الأعضاء، فهي التي تسمح لهم بالدخول في التنظيم، وهي التي تمنعهم من ذلك بناءً على مقوّمات ترى أنّها أساسيّة في العضو الذي مرّ بعدّة مستويات حتّى يصبح «أخاً عاملاً» أو قبل أن يأخذ هذه الصفة، فهناك أكثر من مرحلة يتمّ فيها تصنيف الذين يمرّون على الجماعة ويتمّ من وسطهم اختيار الأصلح تنظيماً.

من هذه المراحل نذكر: (محبّ، مؤيّد، منتسب، منتظم، عامل). ويجتاز العضو هذه المراحل حتى يصل لصفة عامل. وهذه المراحل كفيلة لصناعة التابع على عين التنظيم، وغالباً ما يكون الأتباع شبه واحد، فهم متفقون لا مختلفون في الصفات، تجمعهم صفة الاتفاق على جوامع مشتركة داخل تنظيم واحد.

إذا عدنا إلى التاريخ، فسوف نجد حسن البنا كشخص هو من اختار الهيئة التأسيسيّة بنفسه، والهيئة التأسيسيّة هي من أعطت لنفسها شرعيّة دائمة، فلا يستطيع أحد كائناً من كان تغييرها، وهي قد حرمت غيرها هذا الحقّ من غير المؤسّسين.

وقد نصّت المادة 17 من النظام الأساسي على أن يقوم المرشد العام بمهمّته مدى حياته ما لم يطرأ سبب يدعو إلى تخلّيه عنها، وورد ذلك في النظام العام الذي نصّ في المادة 13 على أنّ المرشد يبقى في مسؤوليته ما دام أهلاً لذلك.

كما أنّ المادة 16 من النظام العام تُعطي حقاً للمرشد في إيقاف أيّ عضو من أعضاء مكتب الإرشاد ومجلس الشورى، وللعضو أن يتظلّم لدى فضيلة المرشد العام، وهنا يكون المرشد العام حكماً وخصماً في الوقت ذاته.

تحمل لائحة التنظيم تحيّزاً شديداً لمصر على اعتبار أنّها بلد المنشأ عن بقيّة الأقطار الأخرى في التنظيم الدولي، بغضّ النظر عن طبيعة التنظيم في هذه الأقطار من حيث العدد والكيفيّة والتجربة، كما أنّ المرشد لا بدّ أن يكون مصريّاً ما دام مقرّ الجماعة في مصر، ولعلّ عنصر السبق الزمني هو من أعطى هذه الميزة للمصريّين.

إنّ للشيخوخة التي أصابت التنظيم علاقةً ببُعدين: أحدهما الآليّة التي يتمّ اختيار القيادات من خلالها، وافتقاد آليّة خاصّة بتولّي المناصب التنظيميّة يمكن أن نصفها بالمؤسّسيّة تكون واضحة وشفافة.

إنّ التنظيمات التي تُدار بالثقافة الأبويّة هي الأقرب لاستخدام العنف أو التي تبرّره، فتحت هذا العنوان يمكن للتنظيم أن يفعل ما يشاء مستنداً لثقافة أبويّة تبرّر كلّ شيء وأيّ شيء حتى ولو كان عنفاً، وهنا يمكن أن يكون البحث عن التأصيل الشرعي بعد التورّط في استخدام العنف وليس قبله.

عضوية التنظيم...بدايات العنف لا تنتهي؟

يلتحق الفرد الإخواني بعضويّة الجماعة إذا وافقت بدءاً من الشعبة التي ينتمي إليها، وعرف مقاصد دعوة الإخوان التي أقبل عليها أو نجح المحيطون به من الجماعة في تجنيده، وتعهّد بأن يناصرها ويعمل على تحقيق أغراضها.

ويتمثّل قَسَم العضو الجديد في قوله: «أعاهد الله العليّ العظيم على التمسّك بدعوة الإخوان المسلمين والجهاد في سبيلها والقيام بشرائط عضويّتها والثقة التامّة بقيادتها والسمع والطاعة في المنشط والمكره، وأقسم بالله العظيم على ذلك وأبايع عليه، والله على ما أقول وكيل».

يوضع العضو ستّة شهور في اختبار لا بدّ أن يجتازه ويؤكّد قيامه بمهامّه التنظيميّة على نحو مُرْضٍ. بعدها قد يقوم مسؤول الشعبة بدور مرشد الجماعة في قبول البيعة.

يعاهد العضو في قَسَمه الجماعةَ وقيادته على السمع والطاعة في المكرة والمنشط، فلا يمكن فهم ظاهرة العنف داخل جماعة الإخوان دون فهم شكل العلاقة بين التابع والجماعة أو بين العضو وقيادته. فشكل العضويّة يُرسّخ لكلّ مفاهيم العنف والتطرّف، أو على الأقل تكون المبايعة على أساسها.

ويساعد على ذلك أنّ الإخوان المسلمين ليسوا جماعة دينيّة فقط، كما لا يمكن عدّها جماعة سياسيّة فقط، فهم خليط بين الاثنتين، فإذا سلّمنا بكونها جماعة دينيّة فقط، فما الذي يبرّر وجود جناح عسكري مهما كانت أهدافه ونوايا من أنشؤوه؟ وإذا كانت الجماعة تنتهج السياسة خطّاً لها ومساراً لعملها، فما الذي يفسّر

استخدام العنف حتى وإن كان ضدّ محتلّين أجانب؟ وهل يمكن أن تتحوّل الميليشيا إلى عمل سياسي بعد أن تمارس دورها المسلّح مع الخصوم؟ وكيف يستقيم إطلاق لفظ السياسيّة على تنظيم مارس العمل الديني تارة والسياسي تارة أخرى والعمل العسكري تارة ثالثة؟ ودعوى تبريره في ذلك سموّ المعركة التي يدخلها مع المستعمرين، متناسياً في الوقت ذاته أنّه لطالما برّر لنفسه حمل السلاح، حتى وإن كان ضدّ المحتل، فإنّه سوف يحمله في مناسبة أخرى، وهو ما حدث حتى كانت صدور المصريين والمسلمين تحديداً هدفاً للنظام الخاص وأعضائه وقياداته، بل هاج أعضاء النظام على أنفسهم فقتلوا بعضهم البعض، ومارس أعضاء في الجناح العسكري اعتداءات على التنظيم بقياداته.

غالباً ما تصنع التنظيمات الدينيّة مبرّراً لها في ممارسة العنف بقولها: إنّ ممارسة العنف أو إقدامها على إنشاء قوّة عسكريّة تحت مسمّى جناح عسكري أو نظام خاص أو غيرها من المسمّيات إنّما بهدف دفع البغي وليس البغي ذاته، واحتساب ما قد يحدث جرّاء إقدامهم على هذه الخطوة بأنّه نوع من البلاء وامتحان، وأنّه أداة لإقامة أوامر الله في الأرض، وبالتالي هذه القوّة التي تقتل بهدف إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل، وأنّها دليلٌ على التمسّك بالعقيدة.

اتخذ النظام الخاص في الإخوان شعاراً له قول الله تبارك وتعالى: «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم»، معتبرين أنّ قوّتهم التي أنشؤوها وتحرّكوا بها يقتلون ويفجّرون إنّما هي إذعان في حقيقة لأمر إلهي جاء في نصّ الآية السابقة.

رغم صدور قرار حلّ جماعة الإخوان في منتصف الخمسينيّات من القرن الماضي، إلّا أنّ الدولة تراجعت عنه أمام بعض الاحتجاجات التي رأت الدولة معها إعطاء فرصة جديدة للتنظيم، خاصّة وأنّ ذلك تزامن مع مظاهرات المصريين في مصر، هذا بخلاف التظاهرات في السودان التي احتجّت على تنحية الرئيس محمّد نجيب.

ولم تكذّب الجماعة خبراً، ولم تسعَ لحلّ النظام الخاص، بل رأت أهميّة في وجوده، وسعت لإنشاء التنظيم السرّي، وهو ما يعني أنّ الإخوان كانوا يؤمنون بالعمل السري والمسلّح وأنّه ضرورة للمواجهة، وأسندت قيادة هذا التنظيم إلى يوسف طلعت في البداية، واستمرار وجوده لفترة طويلة دليل على شكل العلاقة الحاكمة بين القيادة والأعضاء.

في هذه الآونة اختفى مرشد الإخوان حسن الهضيبي، فلم تعد الجماعة تعرف مكانه، رغم أنّ الأوامر كانت تصل الجماعة باسم المرشد العام، حتّى أصبح الإخوان في شكّ من هذه الأوامر بعد الاختفاء السريع، ومع الهضيبي اختفى بعض مساعديه مثل يوسف طلعت، أهمّ الذين كان يثق فيهم مرشد الجماعة.

وقاد يوسف طلعت التنظيم السري بترشيح الشيخ محمّد فرغلي، فقد كانا من الشعبة نفسها بمحافظة الإسماعيليّة، كما أنّ شخصيّة «طلعت» الضعيفة دفعت عبد الرحمن السندي، لترشيحه في المنصب ذاته، خاصّة وأنّ الأخير شخصيّة قويّة ولا يحبّذ لمثل هذه المواقع إلّا الضعفاء حتى يظلوا حتى سلطته وسلطانه.

ولم يكن يعني اختفاء مرشد الإخوان وقتها سوى أنّ الجماعة قرّرت العودة إلى العمل السرّي، خاصّة وأنّ محاولة استهداف الرئيس جمال عبد الناصر كانت شاهدة على عودة العنف داخل أروقة ومؤسّسات الجماعة من جديد.

كان يوجد فريق آخر داخل التنظيم يرفض عودة الجماعة إلى العمل السرّي ويعترض على الترتيبات الخاصّة في هذا الإطار، هذا الفريق عيّن مكتباً جديداً بديلاً لمكتب الإرشاد، ودعوا لدرس الثلاثاء بدار الإخوان، وقد كان ذلك تقليداً منذ أيام المؤسّس الأوّل حسن البنا.

من أصحاب اتجاه العمل العلني بهي الخولي ومحمّد جودة ومحمود البراوي ومحمّد الخضري، وكان هؤلاء مجتمعين في دار الإخوان حين بلغهم نبأ محاولة اغتيال جمال عبد الناصر، وكان بصحبتهم الشيخ محمّد فرغلي والدكتور محمّد خميس.

كلّ هذا يُترجم المعنى الأهمّ في العلاقة العضويّة التي تجمع القيادة بمن سواها من الأعضاء، وعلى أساسها يمكن فهم فكرة العنف وآليّاتها داخل التنظيم، فبدون فهم شكل العلاقة لا يمكن فهم فكرة العنف ولا مبرّراتها داخل التنظيم.

ميليشيّات التنظيم الحديثة

لم تتخلَّ جماعة الإخوان المسلمين عن العنف على مستوى الفكر أو الممارسة حديثاً؛ فقد مات المؤسّس الأوّل حسن البنا في عام 1949 ولم يقم بحلّ النظام الخاص، ورغم أنّ المستشار حسن الهضيبي، المرشد الثاني للجماعة الذي خلف «البنا» في القيادة، سعى بشكل تدريجي إلى حلّه، إلّا أنّ الفكرة ظلّت مسيطرة على الجماعة وظلّ هاجس بقائها مسيطراً هو الآخر[52]، فالخلاف لم يكن على ممارسة النظام الخاص للعنف، وإنّما على انفراده بالعمل بعيداً عن قيادة الجماعة والخلافات التي نشأت على هامشه[53].

52- جعل حسن الهضيبي قيادة النظام الخاص مركزّية تتبع مكتب الإرشاد والمكاتب الإداريّة للجماعة بالمحافظات المختلفة في محاولة للتخلص من انفراده في قيادة نفسه بعيداً عن قيادة الجماعة وفيما سمّاه قيادات في الجماعة ثنائيّة القيادة.

53- كان يتصرّف عبد الرحمن السندي، مسؤول النظام السرّي للجماعة تصرّفات لا يقرّها المؤسّس الأوّل حسن البنا، فضلاً عن احتلال السندي وقيادات من النظام الخاص لدار الإخوان المسلمين، بل لقد وصل الأمر إلى إجبار الهضيبي على كتابة استقالة بعدما فعلوا الشيء نفسه معه في بيته.

نشأت المجموعات المسلّحة الحديثة وفق آليّات النظام الخاص التي وضعتها الجماعة قبل تسعين عاماً، فكما ارتبطت الجماعة بالعنف في الماضي ظلّ هذا العنف حاضراً معها بعد أكثر من نصف قرن، فكان من ثمار المكوّن التربوي تشكيل مجموعات عنف جديدة أو استنساخ النظام الخاص ولكن بشكل جديد يناسب الحدث التاريخي الذي مرّت به اللجان النوعيّة[54] بهدف القتل وبمبرّرات مختلفة سمّاها مؤسّسو هذا النظام بعودة الشرعيّة.

نعرض بعضاً لنماذج الميليشيّات المسلّحة التي نشأت حديثاً، وعدّها البعض امتداداً لخطّ العنف الذي بدأته الجماعة في نهاية الثلاثينيّات من القرن الماضي تحت مُسمّى النظام الخاصّ.

1- ميليشيا حركة سواعد مصر «حسم»

كانت نشأة حركة سواعد مصر «حسم»[55] ترجمة لمناهج الإخوان التربويّة وقناعات مؤسّسيها وقياداتها الذين تولّوا السلطة فيها على مدار قرابة تسعين عاماً، هي عمر التنظيم، ولم تكن هذه الميليشيا هي الوحيدة التي نشأت في حضن التنظيم بعد عام 2013 وإنّما نشأت ميليشيّات أخرى على غرار لواء الثورة والمقاومة الشعبيّة، فضلاً عن نفور أعداد ليست بالقليلة من الإخوان للتنظيمات الأكثر عنفاً مثل ما يُسمّى بولاية سيناء «داعش»، وهو ما يترجم ما ذهبنا إليه.

«وكانت أبرز عمليّاتها، تتمثّل في العمليّات التالية»[56]:

- اغتيال رئيس مباحث مركز شرطة طامية بالفيوم الرائد محمود عبد الحميد، وإصابة اثنين من مرافقيه، بعد أن أطلق مجهولون النار بكثافة على سيارتهم، ومثّلت العمليّة باكورة الأنشطة المسلّحة للحركة، وتمّت في 16 يوليو/ تموز 2016.

54- لقي د. محمّد كمال، عضو مكتب الإرشاد ومسؤول اللجان النوعيّة مصرعه في مواجهات مع الأجهزة الأمنيّة المصريّة، في أكتوبر 2016، وضع الأصول الفقهيّة ببحث أشرف على خروجه بعنوان «فقه المقاومة الشعبيّة»، كما أشرف على بناء الهيكل التنظيمي لهذه اللجان.

55- ميليشيا عسكريّة تأسّست في يناير 2014، بشعار "كلاشنيكوف" متبوعاً مكتوباً تحته "بسواعدنا نحمي ثورتنا"، في إشارة إلى ثورة يناير 2011، نشأت هذه الميليشيا على خلفيّة عزل الرئيس الأسبق محمّد مرسي من السلطة على خلفيّة ثورة 30 يونيه من العام 2013، أعلنت الميليشيا مسؤوليتها عن تنفيذ الكثير من العمليّات الإرهابيّة والكمائن، حاولت اغتيال قضاة مثل النائب العام المساعد زكريا عبد العزيز، ورئيس محكمة جنايات القاهرة أحمد أبو الفتوح، كما صرّحت أنّها وراء محاولة اغتيال الدكتور علي جمعة، مفتي الديار المصريّة الأسبق.

56- ماذا تعرف عن حركة حسم المصريّة؟ موقع الجزيرة:

nl.hideproxy.me/go.php?u=lshjKwX10DrH6wK1ldsZ2TM5SOCA2NozE61Rlmm2HwqJmkdgPeRo7BSz7OPHbXkeRdnlGKA6n11xyciKU3RclNvQrn0lfHqzyd2%B3HUE4YqmN3gaXMdRR2%BhLRx09UAWmbfz0QsrPbjfD0OSrXDuW2%BB4qihEJe0aVo2J3ybmuGYZsEoQJ3gHg9vRUwzkat2%FKC0BI2%BEeeDK2t5w1sAlrX1Wd3onZK293VRPDgf4WqlbwJHsFUj4RIbH2%BeRoQ0RD9YaAVPf5KozNMgjW8LcdUqKTv2%FmtqwfH&b&5=f=norefer

- محاولة اغتيال المفتي السابق علي جمعة في الخامس من أغسطس/ آب 2016، الذي وصفته الحركة "بشيخ النفاق والفتنة النتن"، وأصيب أحد حرّاس المفتي خلال العمليّة بجروح طفيفة، حسب بيان وزارة الداخليّة المصريّة. واتّهُم جماعة الإخوان المسلمين بالوقوف وراء محاولة اغتياله، مضيفاً في مداخلة هاتفيّة مع إحدى الفضائيّات بعد الحادثة "الإخوان حاولوا اغتيالي منذ سنتين، وسأبدأ نشر كتب تبقى عبر العصور تكشف وتفضح جماعة الإخوان".

- محاولة اغتيال النائب العام المساعد المستشار زكريا عبد العزيز عثمان في 29 سبتمبر/ أيلول 2016 بواسطة سيارة ملغّمة استهدفت موكبه بمنطقة التجمّع الأوّل، وأصيب خلال العمليّة شخص تصادف وجوده في موقع التفجير وقت حدوثه.

- قتل ضابطين وأربعة مجنّدين عبر تفجير عبوة ناسفة في تجمّع أمني بشارع الهرم (الجيزة)، في التاسع من ديسمبر/ كانون الأول 2016.

وفي المجمل فقد تسبّبت هجمات حركة حسم في مقتل تسعة شرطيين وإصابة عدد مماثل، بينما فشلت في اغتيال مسؤولين قضائيين، هما النائب العام المساعد زكريا عبد العزيز، ورئيس محكمة جنايات القاهرة أحمد أبو الفتوح، إضافة إلى المفتي السابق علي جمعة.

2- ميليشيا حركة لواء الثورة[57]

خرجت هذه الميليشيا من رحم حركة سواعد مصر «حسم»، وهي تنتمي لجماعة الإخوان المسلمين والميليشيّات التي انبثقت عنها بعد عام 2013، تركّزت عملياتها على الشرطة الداخليّة والقوّات المسلّحة، الهدف منها تشتيت أجهزة الأمن من خلال نشأة أكثر من ميليشيا مسلّحة بهيكل تنظيمي جديد وقيادة جديدة أيضاً.

57- «لواء الثورة» تنظيم هامشي ظهر بعد حركة «حسم» بل نشأ التنظيم من رحمه، تبنّى عمليّات إرهابيّة كانت موجّهة لعناصر من الشرطة.

يعتمد التنظيم على استراتيجيّة «الذئاب المنفردة»، أي أنّها تعتمد على تكوين مجموعات مكوّنة من 5 أفراد يقومون بالعمليّات الإرهابيّة المختلفة دون الرجوع للحركة الأم، أو تلقي تعليمات من قيادات أكبر، شريطة أن يكون أفراد المجموعة غير متورّطين في عمل إرهابي من قبل.

وتتنوّع أساليب التنفيذ بين استخدام البنادق الرشاشة أو المسدسات المزوّدة بكواتم الصوت أو السكاكين أو التفجير عن بُعد، ويتمّ تحديد الأهداف بتكليف من قيادات الخارج.

بثت الحركة شريطاً مصوّراً، يظهر أربعة شبّان يقرؤون وصاياهم الأخيرة على طريقة تنظيم «داعش»، ثلاثة منهم طلاب بجامعة الأزهر، واحتوى الشريط مقطعاً لاثنين منهم أثناء تجهيزهما مواد مفخخة بمنطقة صحراويّة.

وهو ما يعزّز تبعيّة الحركة لجماعة الإخوان التي سارعت بتأبينهم كشهداء، خاصّة بعد أن استضافت فضائيّات تابعة للجماعة أسر الشبان الأربعة بعد قيامهم بعمليّات إرهابيّة، واتّهمت أجهزة الأمن بتصفيتهم.

عندما ظهرت حركة «لواء الثورة» على الساحة اتبعت النهج نفسه لـ «حسم» في شنّ هجمات وتوثيقها ونشر صورها أو مقاطع مصوّرة عنها، فضلاً عن أنّ الاثنتين وُلدتا من رحم جماعة الإخوان.

ويدل هذا على تنسيق عالي المستوى، كما يبدو، بين «حسم» و«لواء الثورة»، أو أنّ هاتين الحركتين تتبعان قيادة واحدة، وليس الفصل بينهما إلا مناورة. كما أنّ هناك فرضيّة ثانية تبنّتها نيابة أمن الدولة العليا، تعتبر أنّ حركة «حسم» تحمل أيضاً اسم «لواء الثورة».

أعلنت الميليشيا تبنّيها لأوّل عمليّاتها بالهجوم على كمين «العجيزي» في مدينة السادات بالمنوفية، في أغسطس 2016، كما تبنّت اغتيال العقيد عادل رجائي، قائد الفرقة التاسعة مدرّعة أمام منزله، وفي مارس 2016 صدر بيان عن وزارة الداخليّة المصريّة أعلنت فيه مقتل أحد عناصر حركة «لواء الثورة» التابعة لـ«الإخوان» في الإسماعيليّة عقب تبادل لإطلاق النيران معه، كما أعلن المتحدّث باسم «لواء الثورة»، ويُدعى صلاح الدين يوسف، انتساب الحركة لجماعة «الإخوان».

أشارت ميليشيا «لواء الثورة» في بيان آخر لها ارتباطها بحركة حسم السابقة لها في النشأة والتي تعود لنفس الأصل العقائدي والقيادة، وأعلنت في بيان ثالث عن عزمها على تنفيذ عمليّات عنف ضدّ الدولة المصريّة، وذلك للثأر إثر مقتل القيادي الإخواني محمّد كمال، الذي لقي حتفه في تبادل لإطلاق النار مع الشرطة المصريّة، غير أنّ أجهزة الأمن نجحت في تفكيك عشرات الخلايا التابعة للحركة المسلّحة وهو ما أضعفها.

ويضاف إلى ذلك إدراج وزارة الخارجيّة الأميركيّة في أوائل عام 2018 حركتي حسم ولواء الثورة على قائمات الإرهاب[58]، والحركتان تنتميان إداريّاً لجماعة الإخوان، التي قرّر جناحها المسلّح بقيادة الدكتور محمّد كمال تأسيسهما وتمويلهما لتنفيذ سلسلة عمليّات إرهابيّة وتفجيرات واغتيالات تهدف لإثارة الرعب في مصر، وتصفية ضباط الجيش والشرطة انتقاماً للإطاحة بالإخوان والرئيس المعزول محمّد مرسي من الحكم.

علاقة الإخوان بالميليشيّات المسلّحة

اعترفت جماعة الإخوان المسلمين بوجود علاقة ما بين التنظيم والميليشيّات المسلّحة، سواء من خلال إعلان تضامنها مع قيادات هذه الميليشيّات الذين سقطوا في مواجهات مع قوّات الأمن المصري، أو من خلال اعتراف قيادات هذه الميليشيّات المسلحة للتنظيم.

أدلّة وشواهد ارتباط الميليشيّات المسلّحة بتنظيم الإخوان المسلمين سواء من الناحية التنظيميّة أو الإداريّة تؤكّد اعترافات قيادات هذه الميليشيّات والرواية الأمنيّة بثبوت العلاقة بينها وبين الجماعة الأم «الإخوان المسلمين».

58- موقع قناة العربيّة، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدوليّة «الإنترنت» على الرابط:

www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/egypt/2018/01/31/-%D8%AD%D8%B3%D9%85-%D9%88-%D9%84%D9%88%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%82%D8%A7%D8%A6%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A9-.html

ويمكن عرض بعض هذه الشواهد على النحو التالي:

أ- تصريح رضا فهمي، عضو لجنة الأمن القومي بمجلس الشورى المنحلّ والهارب إلى تركيا خلال حوار تلفزيوني هناك، دافع فيه عن عمليّات الميليشيّات المسلّحة ضدّ الجيش والشرطة، وأشاد بتطوّر عمليّات حركة «حسم» على وجه التحديد وانتقالها من العشوائيّة إلى النضج[59].

ب- وصفت قناة وطن، التي تبثّ من تركيا والمملوكة لجماعة الإخوان، العمليّات الإرهابيّة ضدّ الجيش والشرطة المصريّة التي تقوم بها حركات حسم ولواء الثورة بأنّها (أعمال ثوريّة)، في لقاءات تليفزيونيّة منوّعة.

ت- كشفت تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا مع عناصر إرهابيّة من حركتي لواء الثورة وحسم عن تبعيتهما لجماعة الإخوان المسلمين[60].

ث- بعد وفاة مرشد الإخوان السابق محمّد مهدي عاكف، أصدرت حسم بيان نعي، وصفته (بالبطل المجاهد أيقونة المقاومة ورمز الصمود)[61].

خ- أصّلت جماعة الإخوان المسلمين للعنف من خلال ما عرضة د. مجدي شلش، عضو اللجنة الإداريّة العليا، عندما صرّح على قناة «مكملين» التابعة للجماعة[62]، بأنّ الجماعة غيّرت شعارها «سِلميّتنا

59- بالفيديو...الإخوانى رضا فهمى يعترف بانتماء «حسم» إليهم: ليست حركة مخابراتيّة، موقع اليوم السابع، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدوليّة الإنترنت على الرابط:

www.youm7.com/story/201711 /7 //%D8%A8%D8%A7%D984% %D981% %D98 %A%D8%AF%D98 %A%D988-% %D8%A7%D984% %D8%A5%D8%AE%D988% %D8%A7%D986% %D989-% %D8%B1%D8%B6%D8%A7-%D981% %D987% %D985% %D989-%%D98 %A%D8%B9%D8%AA%D8%B1%D981-% %D8%A8%D8%A7%D986% %D8%AA%D985% %D8%A7%D8%A1-%D8%AD%D8%B3%D985-% %D984% %D987% %D985-%%D984%%D98%A%D8%B3%D8%AA-%D8%AD%D8%B1%D983%%D8%A93320002/.

60- تحقيقات «لواء الثورة»: «المتهمون رصدوا منشآت وشخصيّات لاستهدافهم بالمتفجّرات»، موقع اليوم السابع، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدوليّة الإنترنت على الرابط:

www.youm7.com/story%/25/11/2017/D8%AA%D8%AD%D982%%D98%A%D982%%D8%A7%D8%AA%-D984%%D988%%D8%A7%D8%A1%-D8%A7%D984%%D8%AB%D988%%D8%B1%D8%A9%-D8%A7%D984%%D985%%D8%AA%D987%%D985%%D988%%D9-86%%D8%B1%D8%B5%D8%AF%D988%%D8%A7%-D985%%D986%%D8%B4%D8%A2%D8%AA%-D988%%D8%B4%D8%AE%D8%B5%D98%A%D8%A7%D8%AA%-D984%%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D98%7%D8%AF%D8%A7%D981%%D987%%D9%-85%D8%A8%D8%A7%D984%%D985%%D8%AA%D981%%D8%AC%D8%B1%D8%A7%D8%AA.3526356/

61- حركة «حسم» الإرهابيّة تنعى مرشد الإخوان السابق مهدي عاكف، موقع صدى البلد، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدوليّة الإنترنت على الرابط: www.elbalad.news/2948427.

62- يمكن متابعة جزء من لقاء د. مجدي شلش على قناة «مكملين» على شبكة المعلومات الدوليّة الإنترنت على الرابط:

www.youtube.com/watch?v=eQm4cVrqwEY.

أقوى من الرصاص» إلى «سِلميّتنا أقوى بالرصاص»، وأضاف أنّ «السِلميّة» ليست ثابتاً من ثوابت الدين، واصفاً شباب الجماعة بأنّهم تشرّبوا العمل الثوري، مضيفاً أنّ دفع الصائل قاعدة شرعيّة، فلا يمكن للمسلم أن يُعتدى عليه دون أن يدفع العدوان بكلّ ما أوتي من قوّة.

بعد مزيد من العمليّات المسلّحة التي قامت بها الميليشيّات المسلّحة في مقدّمتها حركتا «حسم» و«لواء الثورة» أعلنت الخارجيّة البريطانيّة في 22 دجنبر 2017 إدراجهما على قائمات الحركات الإرهابيّة بعد تورّطهما في أعمال إرهابيّة ضدّ رجال الجيش والشرطة والقضاء المصري. وفي 31 يناير 2018 أعلنت الخارجيّة الأمريكيّة إدراج الحركتين على قائمات الحركات الإرهابيّة أيضاً، فيما لم تشر أيّ من الدولتين لعلاقة هذه الحركات بالإخوان المسلمين، في تجاهل تام لتصريح محمّد البلتاجي (القيادي الإخواني) عقب الثورة المصريّة في 30 يونيو 2013[63]، بأنّ «ما يحدث في سيناء من عمليّات إرهابيّة سيتوقف عقب عودة الرئيس المصري المعزول محمّد مرسي عضو جماعة الإخوان المسلمين»[64]، أو حتّى تصريحات قيادات هاتين الحركتين وعلاقتهما بالتنظيم الأمّ.

خلطت الجماعة بعد وفاة مؤسّسها الأوّل حسن البنا، بين العمل الدعوي والمسلّح، فحدث ما يمكن أن نسمّيه بعسكرة التنظيم عندما فرضت «الجماعة» ضمن محاضنها التربويّة تدريس رسالة «التعاليم» التي خصّها «البنا» للذراع العسكري للجماعة، جاء فيها: «فهذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسموّ دعوتهم، وقدسيّة فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها، أو يموتوا في سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجّه هذه الكلمات، وهي ليست دروساً تحفظ، ولكنّها تعليمات تنفّذ، فإلى العمل أيّها الإخوان الصادقون»[65].

وقد تحدّث «البنا» في رسالة التعاليم عن ضرورة السمع والطاعة والبيعة وقيم تنظيميّة أخرى كان قصده فيها النظام الخاص وليس باقي أعضاء التنظيم، ولكن تمّ تعميمها بالشكل الذي أدّى إلى عسكرة الجماعة كما أسلفنا القول.

63- يمكن مراجعة التصريح على الرابط على موقع اليوتيوب على شبكة المعلومات الدوليّة الإنترنت:

www.youtube.com/watch?v=a25hAWTt18Q.

64- موقع قناة العربيّة، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدوليّة «الإنترنت» على الرابط:

www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/egypt%/08/07/2013/D8%A7%D984%%D8%A8%D984%%D8%AA%D8%A7%D8%AC%D98%A%-D98%A%D987%%D8%AF%D8%AF%-D8%A8%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D985%%D8%B1%D8%A7%D8%B1%-D8%A7%D984%%D8%B9%D986%%D9%-81%D8%A8%D8%B3%D98%A%D986%%D8%A7%D8%A1%-D981%%D98%A%-D8%AD%D8%A7%D9-84%%D8%B9%D8%AF %D9 %-85 %D8%B9%D988% %D8%AF %D8%A9 %-D985% %D8% -1%D8%B3%D98%A.html.

65- منير أديب، جدليّة العلاقة بين الإخوان وداعش (8)، موقع البوابة نيوز، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدوليّة «الإنترنت» على الرابط:
www.albawabhnews.com/1840881.

لقد خلط حسن البنا، بين مفهومي «الجماعة» كتنظيم يعمل للإسلام، كما روّج لذلك، وبين الإسلام بقواعده وتشريعاته، ليخرج بمعنى ملتصق وملتبس؛ وهو أنّ الجماعة تمثّل الإسلام ومن أراد أن يكون مسلماً، فعليه أن يكون منتمياً للتنظيم ومن خرج عن التنظيم وكأنّه خرج عن ربقة الإسلام أو أنّه مسلم مشكوك في بعض إيمانه وعمله، أو على أقلّ تقدير مسلم ولكن فاته العمل للإسلام ضمن تنظيم يرفع راية العمل والجهاد.

الخاتمة

مرّت جماعة الإخوان المسلمين بعدّة تحوّلات أخذتها لمربّع العنف من جديد بعدما حاولت مخاصمة هذه الفكرة، خاصّة في الفترات التي تصالحت فيها مع الأنظمة السياسيّة المتعاقبة، فانتقلت من التأصيل الفقهي والتنظيمي وبخاصّة بعد عام 1939 ورسالة المؤتمر الخامس التي أعلن فيها المؤسّس الأوّل «حسن البنا» بوضوح استخدام القوّة في الموضع الذي لا يُجدي فيه غيرها. وقام مرشدو الجماعة ومسؤولو التربية فيها بتعميم رسالة التعاليم التي خاطب من خلالها «البنا» المنتسبين للنظام الخاص حتّى تمّ تعميم هذه الرسائل فحدث ما يمكن أن نسمّيه بعسكرة التنظيم.

قام مرشد الإخوان الخامس مصطفى مشهور بتعميم رسالة التعاليم لكلّ الإخوان والتي وجّهها حسن البنا إلى النظام الخاص في الجماعة، حيث قال في رسالته: إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، فتمّ توجيه الرسالة لكلّ أفراد الجماعة ممّا أدّى إلى عسكرة الجماعة وتحويل الجماعة بأكملها للعمل العسكري، وهو دليل على تحوّل التنظيم من خلال عودته لمربّع العنف من جديد من خلال الميليشيّات المسلّحة التي ظهرت حديثاً مثل حركتي «حسم» و«لواء الثورة».

وقد أثبتت تحوّلات جماعة الإخوان المسلمين أنّ التنظيم لم يغيّر من أفكاره التي وضعها حسن البنا في نهاية العشرينيّات من القرن الماضي، وأنّ الجماعة تمرّ بمرحلة الانهيار، خاصّة وأنّها مازالت تصرّ على استخدام العنف رغم مرور تسعين عاماً على نشأتها، وكأنّ في ذلك إيذاناً بنهاية الجماعة التي مثّلت حاضنة للعنف على مدار تلك العقود.

عندما نتأمّل أهداف الجماعة ومسارها التنظيمي على مدار سنوات النشأة، ندرك أنّها تمثل البوق الأهمّ والمروّج للعنف بين كلّ الجماعات والتنظيمات الدينيّة، فكما أنّها صدّرت العنف من خلال مقولاتها المؤسّسة أصبحت الجماعة مصدر الإلهام الأوّل لكلّ تيارات العنف في العصر الحديث، فأغلب قادة التنظيمات المتطرّفة مرّوا عليها أو كانوا جزءاً منها.

لا يمكن فهم جماعة الإخوان المسلمين ولا فهم سلوكها إلّا في إطار ما أنتجته من عنف سواء بشكل مباشر على سبيل الممارسة قديماً أو حديثاً أو من خلال ما وفّرته من بيئة أشبه ما تكون بالحاضنة التربويّة لكلّ الجماعات التي رفعت لواء التمرّد العنيف ومارست العنف على مستوى الفكرة والسلوك بمبرّرات شرعيّة مثل دفع الصائل والجهاد في سبيل الله، وسياسيّة مثل الوقوف أمام سلطان جائر بكلمة حقّ، وكلّها تصبّ في فكرة الممارسة والسلوك والإلهام لجماعات العنف.

المعنى الأبرز للتعبير عن تحوّلات الإخوان المسلمين للعنف هو قولنا إنّ الجماعة لم تتحوّل وإنّما استمرّت على نهجها السابق الداعي والداعم للعنف، وإنّ التحوّل الحقيقي تمثّل في كونها تنتقل في أكثر من شكل وصورة للعنف، أو إنّ لديها قدرة فائقة على التشكّل وفق تصوّرها العنيف وبالشكل الذي يدفع عنها هذه التهمة في الوقت ذاته، وهو ما يمثّل تناقضاً يضاف لِكَمّ التناقضات التي تحكمها.

لائحة المراجع:

- حسن البنا، مذكّرات الدعوة والداعية، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، ط2، 2011).

- فرسان تحت راية النبي صلى الله علية وسلم، أيمن الظواهري، مطبوعات منبر التوحيد والجهاد ط1، على شبكة المعلومات الدوليّة الإنترنت على:
www.ilmway.com/site/maqdis/MS_874.html

- النقط فوق الحروف...الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1998).

- صفحات من التاريخ...حصاد العمر، صلاح شادي، دار التوزيع والنشر الإسلاميّة، ط 1، 1987).

- حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين، محمود الصباغ، دار الاعتصام، ط1، 1986).

- إخوان ويكي، الموسوعة التاريخيّة الرسميّة لجماعة الإخوان المسلمين، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدوليّة «الإنترنت» عبر الرابط:
www.ikhwanwiki.com/

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018

All rights reserved © 2018